مملكة الشيطان

إصدار
أبريل - ٢٠١٦

مملكة الشيطان

رواية خيالية لها علاقة بالواقع

رائد قاسم

المجد للشيطان.. معبود الرياح

من قال «لا» في وجه من قالوا «نعم»

من علّم الإنسان تمزيق العدم

من قال «لا»

فلم يمت

وظلّ روحًا أبديّة الألم

أمل دنقل

كلمات سبارتكوس الأخيرة

إهداء

- إلى سبارتكوس
- وإلى كلِّ سبارتكوس في كلِّ عالم من عوالم هذا الوجود
- أُهدي هذه الصفحات

رائد قاسم

الحلقة الأولى

معسكر الجبل

يفتح عينيه.. يرى نفسه ممددًا في مغارة مليئة بالأجهزة والمعدات، ومحاطًا بأربعة أشخاص غريبي المنظر:

- أين أنا؟

يغربون عنه.. يفتح الباب ليدخل رجل يبدو من هيئته بأنه رئيسهم...

يحاول النهوض من مكانه إلا أنه ينهره:

- ابق مكانك وإلا كانت هذه اللحظة آخر لحظة في عمرك.

يتجمد في مكانه خوفًا ورعبًا... يقترب منه، يمسك برقبته...

- إنه مناسب، عمره لا يزيد عن ثلاثين سنة بشرية، وصحته جيدة، عليكم بالمكواة والحقنة..

يتقدم منه اثنان، يمسك به الأول ويكويه الثاني في رقبته..

يتأوه من الألم ويتملكه الرعب.... يلتفت يمينًا وشمالًا فيرى شخصًا قادمًا وبيده إبرة طويلة الحجم، يقدم لرئيسه التحية ويسلمها له وينصرف...

- ماذا ستفعل بي؟ اتركني وشأني.

يمسك به بيده الأولى، ويمسك الإبرة بيده الثانية. . .

- لا تخف لقد وهبتك الحياة ولن أؤذيك ما دمت ملتزمًا بما آمرك به.

- ما هذه الإبرة؟

- إنها التي سوف تجعلك ترى كلَّ شيء بوضوح في عالمنا.

يمسك بالإبرة ويوجهها نحو رقبته. .

- اهدأ وتماسك حتى لا تُصاب بأذى.

العرق يتصبّب من جبينه بغزارة. . .

- هل أنت مسترخٍ الآن؟

- بشكل لا بأس به يا سيدي.

- أنت إنسان طيب.

يدخل الإبرة في رقبته بسرعة خاطفة. . . يصرخ من الألم. . . صراخه الرهيب يملأ المغارة مشوبًا بضحكاتهم المرعبة. . . ينهض من مكانه ويحاول الخروج إلا أنه يفقد رشده وتظلم عيناه فلا يتمكن من رؤية أي شيء حوله وسرعان ما يسقط مغشيًا عليه. . .

* * *

يفتح عينيه مجددًا. . يشعر بألمٍ في رقبته. . . ينظر إلى ما حوله. . بشر كثيرون من مختلف الأعمار كأنهم في خلية نحل. . .

يقوم من مكانه بخفة.. لا أحد يكلمه أو يتحدث معه... ينظر له أحد الفتية فيقترب منه..

- استيقظت أخيرًا.

- من أنتم؟ ومن هؤلاء؟ وأين أنا؟.

لا يجيبه..

- لِمَ لا تجيب؟.

- ستعرف كل شيء، اجلس هنا ولا تتحرك.

يبتعد عنه ليذهب إلى مجموعة من الناس متحلقين حول رجل طاعن في السن...

- سيدي لقد أفاق الساكن الجديد.

شيخ البشر:

- أخيرًا أفاق، سآتي له بعد قليل.

يكمل حديثه معهم ثم يخرج متكئًا على عكازه متوجهًا إليه... يسلّم عليه ويرحب به ويهنئه بالسلامة بينما لا يزال متعجبًا ومستغربًا مما هو فيه..

شيخ البشر:

- ما اسمك يا بني؟.

- اسمي «فارس».

شيخ البشر:

- اسم جميل يا ولدي.

فارس:

- شكرًا لك يا عم، ولكني لا أتذكر أي شيء عن حياتي باستثناء اسمي، أحاول أن أذكر من أين أنا، وما كنت فيه قبلًا، ولكني لا أستطيع.

شيخ البشر:

- لا تقلق يا بُني سوف تتذكر في وقت ما.

فارس (بخوف):

- هل هذه حياة البرزخ؟

يضحك من سؤاله..

شيخ البشر:

- بل أنت في الدنيا يا ولدي، ولا تزال بجسدك الترابي.

فارس:

- إذن أين أنا؟ وما الذي جرى لي؟ ومن أولئك الذين رأيتهم أول مرة؟ ومن هؤلاء الناس الذين يعج بهم هذا المكان الضخم؟

ينزل رأسه إلى الأرض...

شيخ البشر:

- أنت في...

يقطع كلامهما دخول مجموعة من الجنود مدججين بالسلاح...

ينتشرون بسرعة ويأمرون شيخ البشر بأن يجمع من معه من البشر في مكان واحد...

رئيس الجنود:

كم بلغ عدد المرضى الميئوس من شفائهم؟

شيخ البشر:

إنهم اثنا عشر شخصًا بخلاف أربعة توفوا بالأمس.

- حسنًا ائتني بالمرضى وجثث الموتى.

- ألا تمنحني صلاحية دفنهم؟.

- كلا سندفنهم بمعرفتنا، هيا لا تضيع الوقت.

- بأمرك.

يأمر مجموعة من الأشخاص بأن يأتوا بالمرضى وجثث المتوفين..

يجلبونهم سريعًا، وهم في صراخٍ وهياج...

أحدهم:

- كلا.. لا أريد أن أموت، دعوني، ما زال في عمري بقية.

أحد آخر:

- اللعنة عليكم أينما كنتم وحللتم.

مريض آخر:

- دعوني وشأني أيها الملحدون.

ما أن ينطق بهذه العبارة حتى يستثنوه من المرضى الآخرين، وبعد الانتهاء من استلامهم يوقفونه أمام أقرانه من البشر...

يسأله رئيس الجنود:

- نحن ملحدون بمن؟.

يتطلع إلى الناس من حوله، وهم خائفون ثم ينظر إلى الجنود وهم يتأهبون للقضاء عليه..

وجهه الشاحب وعيناه اليائستان من الحياة لم يمنعاه من أن يرفع رأسه عاليًا:

- أنتم طواغيت، ملحدون، أبالسة مجرمون، كفرتم بالله الواحد الأحد، وعبدتم الشيطان الرجيم فلعنة الله عليه وعليكم أينما كنتم في أرض أو سماء.

ما أن ينتهي من إجابته حتى يوجه إليه الجنود رصاصات بنادقهم فيقطعونه إربًا.. يستمرون في إطلاق النار عليه حتى يتمزق جسده وتتناثر أوصاله ويتطاير لحم جسده في كل مكان وسط دهشة البشر الذي بدأ بعضهم بالبكاء والنحيب، بينما يشاهد «فارس» الواقعة بهلعٍ ورعب..

ما إن ينتهي الجنود من مهمتهم حتى يتقدم رئيسهم مخاطبًا البشر:

- هل يحب أحدكم أن يضيف أي شيء لما قاله هذا العبد المنافق؟.

صمت مطبق، وخوف رهيب يعمّ الجميع...

ثم ينظر بحقد إلى بقية جثمان الرجل...

- فليذهب بك إلهك إلى الجنة التي وعدك بها.

يغادر الجنود لتغلق البوابة الفولاذية التي جاؤوا منها... يعم البكاء بين النساء والرجال... يخرج من بينهم شيخ البشر رافعًا عكازه في وجوههم:

- كفى! اجمعوا جثة أخيكم، واحفروا له قبره وادفنوه فيه، ثم عودوا إلى ممارسة حياتكم.

ينظر شيخ البشر إلى «فارس» مخاطبًا:

- أما أنت أيها الشاب فتعال معي.

يأخذه إلى بيته المشيد داخل أحد كهوف الجبل..

يأمر بإحضار مشروبات ساخنة...

- أعتذر منك لقد نسيت اسمك.

- اسمي «فارس».

- نعم تذكرت الآن، اشرب يا «فارس» وهدئ من روعك، إنه شراب اليانسون، وهو معروف بتهدئته للأعصاب.

يشرب «فارس» الشراب الساخن رغم اضطرابه الشديد...

شيخ البشر:

- هل تحسنت حالتك؟

فارس:

- قليلًا يا سيدي.

شيخ البشر:

- سوف تتحسن أكثر عندما تعتاد الحياة هنا.

فارس:

- سيدي أين أنا؟

يقف شيخ البشر متكئًا على عكازه.

شيخ البشر:

- أنت في مملكة الشيطان يا بُني.

فارس (بخوف شديد):

- أتقصد بأن هؤلاء ليسوا بشرًا؟

شيخ البشر:

- كلا يا بُني.. إنهم شياطين، وأنت في مملكتهم.

يقع قدح اليانسون من يد «فارس» من هول ما سمعه...

- مستحيل!!.

شيخ البشر:

- هذه هي الحقيقة.

فارس:

- أين البشر بدولهم وجيوشهم وحضارتهم؟

شيخ البشر:

- موجودون يا بُني، ولكننا بعيدون عنهم.

فارس:

– وكيف وصلت أنا إلى هنا؟.

شيخ البشر:

– بل اسأل كيف وصلنا نحن جميعًا إلى هنا؟ اجلس يا بُني لأشرح لك حتى تكون على بينةٍ من أمرك.

يجلس وهو في غاية الخوف...

شيخ البشر:

– اسمعني يا بُني نحن في دولة إبليس ملك ملوك الشياطين، هذه هي الحقيقة.

فارس:

– رباه!!

شيخ البشر:

– لقد تم خطفنا جميعًا من قبل الشياطين في ظروفٍ وملابساتٍ مختلفة، وأنت واحد ممن خُطفوا.

فارس:

– وكم عددُنا؟.

شيخ البشر:

– أكثر من ثلاثين ألفًا من البشر.

فارس:

– وما غرضهم من خطفنا؟.

شيخ البشر:

- إننا هنا عبيد وأرقاء يا بُني، نقوم بخدمتهم في كلّ ما يأمروننا به.

فارس:

- وأين نحن تحديدًا؟

شيخ البشر:

- نحن في معسكر في جبل بوسط المملكة، نعمل في جمع المعادن وخامات الأرض بمختلف أنواعها ونقلها إلى مختلف المدن وفي مقدمتها مدينة «إبليسيا» عاصمة المملكة.

فارس:

- وهل ستظل حياتنا هكذا؟

شيخ البشر:

- حياة العبودية لا تنتهي إلّا بالموت يا ولدي.

يبكي فارس...

شيخ البشر:

- يا بُني، ولكننا في المقابل نعيش حياةً بها متسع من البهجة، فالشياطين بحاجة إلينا ونحن مهمون لهم كثيرًا لذلك فإنهم يوفرون لنا كل سُبُل الراحة.

فارس:

- ماذا تعني؟.

شيخ البشر:

- إننا نعمل ثمان ساعات في اليوم، ولدينا يوم عطلة وهو يوم الثلاثاء، وهذا المكان من الضخامة بحيث إنه مدينة متكاملة، تحوي بيوتًا مختلفة الأحجام، وثمة منطقة ضخمة من البساتين تحيط بها الجبال مفتوحة طوال الوقت لمن أراد الاستجمام، ويمكننا التزاوج والإنجاب أيضًا.

فارس:

- ولكننا نظل عبيدًا لهم يا سيدي الشيخ.

شيخ البشر:

- نعم هذا هو الواقع المرير، ولكن قل لي إلى أي بلد تنتمي أيها الشاب؟.

فارس:

- لا أتذكر.

شيخ البشر:

- أظن أن الكثير من البلدان التي يعيش فيها البشر شبيهة بحياتنا، فالشعوب فيها تأكل وتشرب وتتناسل ولكنها محرومة من معظم حقوقها.

فارس:

- أرجوك أيها الشيخ، في عالم البشر الأمر مختلف وإن كان مشابهًا لهذه الحياة عند بعض الشعوب، من الواضح أنك تحاول تخفيف وقع ما نحن فيه من استعباد وإذلال.

شيخ البشر:

- ولكنها الحقيقة يا بُني.

فارس:

- حتى لو كان هناك شعوب في عالمنا تعيش في ظل دول لا تقلّ بشاعة عن مملكة الشيطان هذه، ولكن ثمة بلدان أخرى على الأرض يعيش فيها البشر على قدرٍ كبيرٍ من الحرية والكرامة ويتمتعون بالكثير من الحقوق، ويمكن للمضطهدين السعي للعيش فيها، بل ويمكن أن يعمل المصلحون والحكماء على إصلاح أحوال بلدانهم، ولكن هنا ليس سوى عبودية مطلقة ونحن مجرد عبيدٍ وأرقاءٍ بكل معنى الكلمة.

شيخ البشر:

- وما عسانا أن نفعل؟.

فارس:

- لا بدَّ أن نسعى للحرية.

شيخ البشر:

- ذاك هو المستحيل يا بُني، كلّ من يحاول الهرب يُحكم عليه بالإعدام وينفذ فورًا.

فارس:

- أظن أننا قريبون من بلادنا وقومنا، نحن لسنا في عالم آخر محجوب عن عالمنا، بل إننا على الأرض، أنا متأكد من ذلك.

شيخ البشر:

- يا بُني لا فائدة من هذا الكلام برمته، أنا لي أكثر من عشرين

عامًا هنا، وشهدت مجيء المئات وموت المئات، ولم يحدث أن دخل منطقة هذا المعسكر أي إنس أو جن.

إن لم تعتد على الحياة هنا سوف تُعدم.

فارس:

- وماذا أفعل في هذا المكان؟

شيخ البشر:

- مارس حياتك كأنك تعيش في عالمك، اعمل، كوّن صداقات، تزوج، هناك الكثير من الأجواء المرحة التي يمكن أن تُسعدك.

تنهمر الدموع من عينيه...

فارس:

- أريد العودة إلى أرضي ووطني، أريد العودة إلى أهلي.

شيخ البشر:

- هيهات يا بُني، لقد تم الأمر، سينسونك عمّا قريب وستكون عندهم إما ميتًا أو مفقودًا.

فارس:

- أنا لا أذكر أي شيء عن حياتي الماضية.

شيخ البشر:

- قلت لك سوف تتذكر مع الأيام، هل لا يزال موضع الحقنة يؤلمك؟ دعني أرى.

لقد أصبح لونه أحمر.

فارس:

- لماذا حقنوني يا عم؟

شيخ البشر:

- حتى تتمكن من رؤية الشياطين وعالمهم بدقة.

فارس:

- لم أفهم؟

شيخ البشر:

– إن عالم الشياطين ذو اهتزازات عالية، وقد لا تتمكن من رؤيتهم جيدًا، ولكن هذه الحقنة سوف ترفع من مستوى قدرة حواسك على مشاهدتهم، وتقارب بين تردداتها وترددات أجسادهم بل وترددات كل الموجودات في عالمهم، بحيث يمكنك رؤية وسماع كل شيء فيه بصورة تامة، وتتعامل مع الكائنات والأشياء والموجودات في عالمهم بمستوى اهتزازاتها وتردداتها بحيث تكون عندك صلبة ومادية تمامًا.

فارس:

- يا إلهي أي مصيبةٍ وقعت فيها؟

شيخ البشر:

- إنه قدرك يا بُني، وقدرنا جميعًا.

بعد يوم غدٍ سوف تبدأ العمل، صدقني سوف تعتاد الحياة هنا بسرعة مثل غيرك.

فارس:

- وأنت يا عم ما موقعك هنا؟

شيخ البشر:

- أنا شيخ البشر، والحاكم عليهم من قبل قيادة المعسكر.

فارس:

- فهمت الآن.

شيخ البشر:

- ستدرك كل شيء يدور حولك، اذهب الآن إلى مقر إقامتك الجديد، وهناك ستقيم مع مجموعة من الشبان.

ينادي على أحدهم..

شيخ البشر:

- «معاد» اصطحب فارس معك.

يسير «فارس» مع «معاد» إلى منزل صغير تقيم فيه مجموعة من الشبان الذين يرحبون به ببرودٍ ثم يستأنفون مرحهم بينما يبقى «فارس» صامتًا بينهم...

- هيا أنت..

يخاطبه أحدهم...

الشاب:

- ما بالك صامتًا هكذا؟ افرح يا رجل فما زلت على قيد الحياة، أترى ذلك الشاب المستلقي في الزاوية؟.

فارس:

- ما به؟.

الشاب:

- بعد أسبوع سيتزوج بفتاة جميلة جدًا.

فارس:

- ولكنه سيظل أسيرًا هنا.

الشاب:

- علينا أن نعيش حياتنا، ما فائدة الحزن والبكاء على الماضي؟، هل ستستعيد حريتك؟ هل ستعود إلى أهلك ووطنك؟ كلا لن يحدث أي شيء من هذا القبيل، عش حياتك إذن فهي قصيرة على كلِّ حال.

يستلقي «فارس» على فراشه، وسرعان ما ينام..

في صباح اليوم التالي يستيقظ ليذهب إلى منزل شيخ البشر، يتناول طعام الإفطار في مجلسه، ثم يصطحبه «معاد» في نزهةٍ في أرجاء مدينة المعسكر...

فارس:

- إنها مدينة متكاملة، بيوت وأسواق.

معاد:

- بالطبع فالشيخ تمكّن من إقناع قيادة المعسكر بعد فترةٍ وجيزةٍ من مجيئه إلى هنا بأن توفير كافة سُبُل الراحة للبشر سيدفعهم لاعتياد

حياتهم وبالتالي العمل، حتى إنه أقنعهم بأن لا تزيد ساعات العمل عن ثمان ساعات كما هو الشأن في عالم البشر.

فارس:

- ومن أين تأتي السلع؟

معاد:

- كل يوم تتدفق على المدينة السلع التي تحتاجها.

فارس:

- هذا يعني أن هناك بوابات تفتح يوميًا.

معاد:

- بالتأكيد ولكن لماذا تسأل؟ هل ستحاول الهروب؟.

فارس:

- وهل هذا ممكن؟.

معاد:

- هاهاها، الهرب مستحيل يا «فارس»، دع عنك هذه الفكرة لأنها ستودي بك حتمًا.

يستمران في المشي... يمران عبر كهف ضخم واسع مليء بالناس وفي آخره نور مبهر.

فارس:

- إلى أين تأخذني؟

معاد:

- إلى الشمس.

يُسرعان الخطى... يخرجان من الكهف.. يشاهد فارس أشعة الشمس المشرقة والأعشاب الخضراء في كل مكان والأشجار الباسقة تملأ الأرجاء...

فارس:

- يا إلهي ما أجمل هذا المكان.

معاد:

- إنها أشبه بحديقة ضخمة يا «فارس»، إنها مفتوحة طوال الوقت، تستطيع المجيء إلى هنا وقت ما تشاء.

فارس:

- مكان رائع، ولكن لا بدّ من وجود مخرجٍ ما هنا.

معاد:

- هاهاها.

فارس:

- لماذا تضحك؟

معاد:

- أترى تلك الجبال البعيدة؟

فارس:

- نعم أراها جيدًا.

معاد:

- إنها تمثّل حدودًا طبيعية لهذه الأرجاء الواسعة، إذا ما تجاوزتها.

فارس:

- أعرف سيعتقلنا الشياطين.

معاد:

- كلا.

فارس:

- ماذا إذن؟.

معاد:

- إن هذه الجبال تتدفق فيها كهرباء رهيبة تمتد حتى مسافة كيلو متر إلى الأعلى، تحرق كل من يلمسها أو يمر فوقها، حتى الشياطين لا يستطيعون المرور فوقها أو الاقتراب منها.

فارس:

- يا إلهي!

معاد:

- لا أمل لنا بالخلاص من هنا يا «فارس»، بل حتى لو خرجنا من المعسكر فإننا سنظل داخل أرجاء مملكة هؤلاء الشياطين، ولا نعرف أين نذهب وإلى أين نتجه؟ والذي أعرفه أنها جزيرة كبيرة تحيط بها المياه من كل جانب، فالخروج منها شبه مستحيل.

ستعتاد الحياة هنا مثلما اعتدناها.

* * *

يقضي «فارس» يومه في التنزه، والنظر في أحوال البشر من حوله والتعرّف عليهم، في المساء يستدعيه شيخ البشر. .

شيخ البشر:

- «فارس» من الغد سوف تبدأ العمل.

فارس:

- العمل؟!

شيخ البشر:

- بالطبع.

من الغد ستخرج مع الشبان للعمل منذ الصباح حتى العصر لثمان ساعات في اليوم.

فارس:

- أمرك يا عم.

شيخ البشر:

- اشغل نفسك يا بُني بالعمل وقِ نفسك بالتزام القوانين هنا حتى تستمر حياتك في هذا المكان.

* * *

في صباح اليوم التالي يقف فارس بالقرب من البوابة إلى جانب المئات من الشبان. . سرعان ما تفتح ليظهر الجنود بكامل استعدادهم. . . يدخل الجميع بانتظام ويصعدون السيارات المعدة لهم ويتجهون في طريق مرصوف. .

فارس:

- إلى أين نحن ذاهبون؟

معاد:

- ستعرف بعد قليل.

تسير الحافلة لنصف ساعة ثم تقف وسط جبال وسهول.. يترجل الشبان من الحافلة ثم توزع عليهم عدد الحفر ليبدؤوا بالعمل... يعملون لأربع ساعات متواصلة حتى يأمرهم الجنود بالاستراحة لساعة.

فارس:

- يا لهؤلاء الشياطين بالرغم من كونهم أشرارًا إلا أنهم منظمون بشكل رائع.

معاد:

- امسك لسانك يا «فارس» لئلا يسمعونك.

يستأنفون العمل لأربع ساعات أخرى، ثم يأمرهم الجنود بالعودة إلى الحافلات التي تعيدهم إلى مدينة البشر... يلقي «فارس» بثقله على سريره ليرتاح من عناء يومه الأول..

أحد الشبان:

- ما رأيك يا «فارس» بالعمل؟

فارس:

- إنه ممتع وغير شاق.

شاب آخر:

- بالطبع هو كذلك، إن الشياطين بحاجتنا لذلك يوفّرون لنا كل ما نحتاجه بل إنهم يعالجون مرضانا كذلك.

فارس:

- حقًّا؟

- بالطبع، ثمة مستشفى في المدينة تعالج كلّ الأمراض، بل وبها قسم للولادات أيضًا، وتطعيم الأطفال ضد الأمراض، باختصار نحن هنا في عالم بشري مصغر إلّا أنه تحت حكم هؤلاء الشياطين.

يتدخل شاب آخر:

- إن الشياطين لم ولن يحترمونا أو يقدرونا كمخلوقات عاقلة توازيهم، وكل ما نحن فيه من رعاية سببه حاجتهم إلينا كعبيد.

فارس:

- إننا يا أصدقائي أشبه بالحيوانات في عالمنا، فنحن نربي الحيوانات والطيور، نوفّر لها طعامها وشرابها، ونهتم بصحتها، ونظافة زرائبها وأقفاصها، حتى نستهلك لحومها ونشرب من لبنها، ونلبس من جلودها.. هل نسيتم قتلهم بوحشية ذلك الرجل قبل عدة أيام؟ هل نسيتم المرضى الميئوس من شفائهم الذين هم الآن في عداد الأموات.

يصمت الجميع...

أحدهم:

- «فارس» كل ما تقوله نعرفه ونشعر به، ولكن ماذا تريدنا أن نفعل؟ صدقني لو ثرنا عليهم جميعنا لما ترددوا في قتلنا وإفنائنا عن بكرة أبينا.

شاب آخر:

- إنهم يجوبون عالم الإنس بشكل دائم بحثًا عن أشخاص يسهل اختطافهم ليجلبوهم إلى عالمهم لتسخيرهم للعمل في المعسكرات، أو كخدمٍ في بيوتهم وقصورهم، وإن امتنع أحد أو مرض فإن الإعدام الفوري في انتظاره.

شاب آخر:

- إننا نعلم أنهم يهتمون برفاهيتنا لأنهم يريدون أن يحققوا اكتفاءً من أعدادنا فلا يضطرون لجلبنا من عالم الإنس، إنها حقيقة رهيبة أن نعامل نحن البشر أهل العقل والعلم والحضارة كالحيوانات من قبل هذه الكائنات التي لا تعرف الرحمة.

فارس:

- يا لهذه المصيبة العظيمة التي نعيشها..

يبكي «فارس» فيلتف حوله بعضهم لمواساته...

- هوّن عليك يا «فارس»، البلاء إن عمّ فإنه يهون.

فارس:

- إلّا بلاء الاستعباد فإنه أكبر من أن يحتمل.

* * *

تمر على «فارس» أكثر من ستة شهور، يستمر في ذهابه إلى العمل ويتعرف أكثر على البشر في معسكر الجبل، يجدهم مختلفين في الأفكار والثقافات والأنماط، يحاول الاعتياد على واقعه الجديد إلّا أن الرغبة بالإعتاق من المعتقل الكبير تراوده دائمًا.

في يومٍ ما بعد عودته من العمل يأمر شيخ البشر ببقائهم أمام بوابة الدخول. . .يتتاب فارس القلق. . .

معاد:

- لا تقلق يا «فارس»، إنه أمر اعتيادي.

فارس:

- ما الذي سيحدث؟

معاد:

- لا شيء، سترى بنفسك الآن.

يطل عليهم شيخ البشر من داخل المدينة. .

- في الأسبوع القادم سيذهب مئة شاب منكم برئاستي إلى «إبليسيا» عاصمة مملكة ملك الملوك «أبي مرة» ليقضوا أسبوعًا هناك خدمةً وطاعةً وامتثالًا لأوامر الحكومة المنعمة علينا بالحياة والرفاهية.

يعطي الإشارة لاختيار مئة شاب ليكون فارس أحدهم. . .

شيخ البشر:

- أنتم استعدوا للذهاب بعد عدة أيام إلى العاصمة «إبليسيا» جوهرة المدائن وأم البلدان في هذه الدولة العظيمة.

ينتاب «فارس» الدهشة والشوق في آنٍ واحدٍ، ما هي هذه المدينة، وهل ستختلف عن مدن البشر؟

معاد:

- «إبليسيا» يا «فارس» مدينة كبيرة فخمة، عندما تراها لن تصدق أن من يعيش فيها أو يحكمها هؤلاء الشياطين.

فارس:

- في الحقيقة أنا مشتاق جدًا لرؤية هذه المدينة، لأول مرة في حياتي سأرى شيئًا مختلفًا عما أعرفه في عالمي.

معاد:

- ألا تذكر يا «فارس» أي شيء عن حياتك؟.

فارس:

- أنا لم أفقد ذاكرتي تمامًا، أعرف الأشياء وأذكر كل ما تعلمته عن حياة البشر وحضارتهم، ولكني لا أذكر أي شيء عن حياتي الخاصة.

معاد:

- ستذكرها يا «فارس» في وقتٍ ما.

فارس:

- كلّ ما يهمني الآن هو رؤية «إبليسيا» عاصمة دولة هؤلاء الشياطين العتاة.

الحلقة الثانية

إبليسيا.. مدينة المدائن

اليوم هو اليوم الموعود، إنه يوم الأربعاء. . «فارس» أفاق منذ الفجر، ولم يعد بإمكانه النوم، فبعد ساعات سيسافر إلى العاصمة «إبليسيا» أكبر المدن وأجملها. . . لم يعد بإمكانه تحمّل شوقه للذهاب إليها، يجبر زميله «معاد» على الاستيقاظ ليكونا في أوائل المتواجدين أمام البوابة. . . سرعان ما يجتمع أمامها مئة شاب من المأمورين بالسفر لـ «إبليسيا». . في تمام الساعة الثامنة صباحًا يقدم عليهم شيخ البشر فيحيونه ويحيطون به. . يوصيهم بأن يحافظوا على الهدوء والابتعاد عن الشغب وأن لا يتحدثوا مع الجنود لضمان سلامتهم. . في الثامنة والنصف تفتح البوابة ليصعدوا بانتظام للحافلة المعدة للسفر، التي سرعان ما تنطلق في رحلتها إلى العاصمة. . .

فارس:

- كم مدة الرحلة؟

معاد:

- حوالي أربع ساعات.

- أوه ظننت أن لديهم وسائل وقدرات تمكنهم من التنقل بسرعة في عالمهم؟

- الأمر نسبي يا صاحبي، نحن هنا لا نشعر بالسرعة التي نعيش فيها ولو كنا خارج هذا العالم وشاهدناه عن بُعدٍ لرأيناه سريعًا جدًا، ولكن لأننا بداخله ونعيش قوانينه فإننا لا نشعر بمقدار السرعة التي نسير بها.

- هل تقصد بأننا في هذه المركبة سرعتنا تفوق السرعة التي نعرفها في عالمنا؟ وأن مركباتهم أسرع بكثيرٍ من مركباتنا؟

- بالتأكيد. . ولكننا لا نشعر بأنها كذلك لأن حواسنا منسجمة معها، قبل المجيء إلى هنا أتذكر بأني كنت في رحلة بالطائرة التي كانت تطير بسرعة لا تقل عن ثمانمائة كيلومتر في الساعة، ولكني كبقية الركاب لم أكن أشعر بأنها تسير بهذه السرعة، ولو أن سيارة سارت بهذه السرعة على طريق بري لكانت سرعة هائلة ولا أظننا سوف نراها بوضوح من فرط سرعتها.

- إنها النسبية إذن.

- بالتأكيد إنه قانون النسبية الذي ينطبق على كل العوالم دون استثناء.

❊ ❊ ❊

تمر الحافلة على سهول وجبال صغيرة. . ينظر فارس إلى المساحات الخضراء الشاسعة على جانبي الطريق. . . يشاهد مركبات الشياطين السيارة والطائرة. . . الأشجار في كل مكان والسماء الزرقاء تزينها السحب البيضاء، والشمس الساطعة تخفّف حرارتها نسمات الهواء المنعشة. . . .

فارس:

- لا أرى فرقًا بين عالم الإنس وعالم هؤلاء الشياطين.

معاد:

التباينات نسبية ومحدودة يا صاحبي، نحن وهم نعيش في نهاية الأمر على كوكبٍ واحدٍ ألا وهو الأرض.

- ولماذا إذن لا نستطيع رؤيتهم عندما كنا في عالمنا؟

- تلك قصة طويلة يا عزيزي، استمتع بوقتك لم يبق إلّا القليل وندخل إلى المدينة.

تبدأ المعالم الخضراء بالانسحاب لتحل محلها منشآت صناعية ضخمة، دقائق قليلة حتى يشاهد «فارس» الطرق الواسعة والمباني الضخمة، وناطحات السحاب، وكلما توغلت الحافلة أكثر كلما اتضحت معالم «إبليسيا» عاصمة مملكة ملك الملوك «أبي مرة»... طرق وكباري وأرصفة وشوارع وجسور وعمارات وأحياء... مركبات تجوب المدينة من مختلف الأنحاء، أما المشاة فهم بالآلاف يسيرون في العديد من الاتجاهات... تسير الحافلة ببطءٍ بسبب الازدحام، وتشق طريقها نحو مبنى كبير.. ينزل شيخ البشر والشبان من الحافلة ليدخلوا إليه بهدوء ونظام... يستوقفهم شيخ البشر قائلًا:

- أنتم الآن في العاصمة «إبليسيا»، اليوم راحة لكم، وغدًا نبدأ العمل في تجهيز إحدى الصالات المخصصة للاحتفال بعيد

الخروج، فاحسنوا التصرف ولا تجلبوا لنا المتاعب، من أراد الخروج للنزهة فعليه الحضور قبل مغيب الشمس خوفًا عليه من الضياع في أنحاء المدينة.

يتفرق الجميع، بعضهم آثروا الاسترخاء في الغرف المخصصة لهم، والبعض الآخر قرروا الهيام على وجوههم والتنزه في الأماكن القريبة من مقرّ إقامتهم.. يختار «فارس» التنزه برفقة صديقه «معاد».. يتجهان إلى السوق القريب.. هناك يرون سكان المدينة من مختلف طبقات مجتمع الشياطين.. أطفالًا ونساءً وشبانًّا وكبار سن...

معاد:

- أرأيت.. لا فرق بيننا وبينهم!!

فارس:

- جميعنا أبناء هذه الأرض وإن تعددت عوالمنا.

يقضي «فارس» عدة ساعات مبتهجًا لوجوده في مدينةٍ كبيرةٍ تعجّ بالحياة، إلّا أنه يفاجأ برؤية مجموعة من الشبان تحيط بهم جماعة من الشياطين... يهرول مع «معاد» إليهم على وجه السرعة ليشاهدا شيطانًا يضرب شابًا بعنف وقسوة..

الشيطان:

- لم يبق إلا هذه الأعاجم تؤذي أطفالنا.

الشاب:

- لم أكن أقصد يا سيدي لقد أصبته بالخطأ أرجو أن تسامحني.

- الويل لك سأقتلك الآن.

يتدخل أحد الشبان:

- سيدي نحن مجرد عبيد جئنا من معسكر الجبل.

يفاجأ الشيطان. . .

شاب آخر:

- وقد جئنا للعمل في إحدى القاعات لتجهيزها من أجل إقامة احتفال بهيج بعيد الخروج الأغر.

يحملق الشيطان بوحشية تجاه الشاب ثم يهدأ قليلًا . . .

- الويل لك إن ارتكبت هذا الخطأ مرة أخرى سوف أقتلك فورًا. . . أتفهم؟

الشاب:

- أدرك هذا يا سيدي.

يأمر الشيطان طفله بأن يتقدم نحو الشاب. . .

- هيا قبّل رجليه ويديه أيها العظم البالي واللحم النتن. . هيا قبل أن أغير رأيي.

يتقدم منه الشاب ويقبّل رجليه ويديه. . ثم يمسك به الشيطان ويقذفه تجاه أقرانه. . .

يحملون زميلهم ويهرولون إلى المبنى. . . يخبرون شيخ البشر بالأمر فيطلب من الحارس إحضار الطبيب لمعالجته. . .

- قلت لكم احذروا الاحتكاك بالشياطين فهم لا يعرفون

الرحمة، إذا تكررت مثل هذه الحوادث فلن أسمح لكم بالخروج مرة أخرى.

* * *

في صباح اليوم التالي يستيقظ الجميع مبكرًا استعدادًا للعمل. يتجهون نحو قاعة كبيرة لم يبق إلا القليل على استكمال بنائها ويبدؤون بالعمل على تجهيزها وإتمامها..

- قل لي يا «معاد» ما هو العيد الذي جئنا من أجله؟

يصمت..

- ما بالك لا تجيب؟

- اسأل شيخ البشر أنا أتنزه عن الإجابة.

- حسنًا هل يمكننا حضور الاحتفال أم يتوجب علينا العودة إلى المعسكر؟

- اسأل الشيخ أيضًا.

* * *

يستمر الشبان في العمل حتى غروب الشمس ثم يعودون إلى مقر إقامتهم...يرتاح «فارس» قليلًا ثم ينضم إلى مجموعة من الشبان التفوا حول شيخ البشر..

كان الشيخ يلقي على مسامعهم ذكرياته في عالم الإنس وكانوا يستمعون له باهتمام...

- هناك في عالم الإنس ما يقابل كل شيء في هذا العالم الذي

نعيش فيه يا أبنائي، إلّا أننا هنا مستعبدون، بَيْدَ أننا قد نكون في بعض دول الإنس كذلك وإن كان ظاهرنا الحرية.

أحد الشبان:

- ولكن يبقى حالنا أفضل في عالمنا.

شيخ البشر:

- لا شك في ذلك، في عالمنا نستطيع فعل أمور كثيرة لحل مشاكلنا ولكن هنا ما الذي نستطيع فعله؟ إنه واقع مرير هذا الذي نعيشه، لقد جيء بنا جميعنا من دون إرادتنا ولا سبيل للخلاص.

فارس:

- عفوًا هل أستطيع طرح سؤال؟

شيخ البشر:

- اسأل يا «فارس»، أنت الآن واحد منا.

فارس:

- لقد سمعت أننا هنا لنستكمل بناء تلك القاعة التي نعمل فيها الآن من أجل إقامة احتفال كبير فيا تُرى أي حفلٍ هذا؟.

يطرق شيخ البشر رأسه إلى الأرض ثم يرفعه مجيبًا:

- إنه الاحتفال بعيد الخروج يا بُني.

فارس:

- لم أفهم؟

شيخ البشر:

- أنت تعلم دون شك بأصل ما سأقوله لك، ولكني رغم ذلك

سأعيده عليكم جميعًا... منذ قديم الزمان وفي زمن بعيد جدًا يا بُني تمكن ملك الملوك «أبو مرة» بقوته ودهائه من إخراج الإنسان الأول أبانا آدم من الجنة التي كان يسكنها مع أمنا حواء، ومنذ أن تأسست دولة الشياطين وهم يتخذون منه عيدًا يحيونه كل عام.

فارس:

- يا إلهي!

- وقد أتوا بنا إلى هنا لتجهيز هذه القاعة ليقيموا فيها احتفالًا كبيرًا هو حفل ضمن عشرات المحافل التي تُقام في كافة أنحاء «إبليسيا» فضلًا عن باقي مدن مملكتهم.

لا يتمالك فارس نفسه من البكاء فيغادر باكيًا...

شيخ البشر:

- إيه.. سيحتاج هذا الشاب لوقت أطول ليعتاد الحياة هنا.

يذهب إليه صديقه «معاد».

معاد:

- «فارس» تمالك نفسك يا صديقي.

فارس:

- أي ذلٍّ نتمرغ فيه؟ لقد أخرجوا أبانا آدم من جنته واليوم يتخذوننا عبيدًا ويأتون بنا إلى عاصمتهم لكي نقوم بخدمتهم في ذكرى يوم إخراجه الذي اتخذوه عيدًا!

معاد:

- هوّن عليك يا صديقي، هذا هو قدرنا.

فارس:

- لا بدّ من وجود طريقة للخروج من هذه الدولة اللعينة، لكل شيء نقيضه، ولكل قوة نقاط ضعف، لا يوجد أمل مستحيل.

❋ ❋ ❋

في الأيام التالية تشتد وطأة العمل وكلما اقترب يوم عيد النزول كلما ازدادت وتيرته . .

فارس:

- قل لي يا «معاد» هل إبليس يعيش هنا؟

معاد:

- اسكت وإلا أهلكتنا، أنت تتحدث عن كبير الشياطين وملك ملوكها وأعظم شخصية في هذا العالم المسعور الذي نعيش فيه.

فارس:

- ومن سيسمعنا؟

معاد:

- خفّض من صوتك، الشياطين لديهم طرقهم التي لا ندركها في التجسس واستراق السمع.

فارس:

- أجبني بسرعة وإلّا رفعت صوتي!!

معاد:

- أفٍّ منك ومن أسئلتك التي لا تنتهي!! إنه هنا أو ليست «إبليسيا» عاصمة ملكه.؟

فارس:

- وأين بالتحديد؟

معاد:

- قال لي شيخ البشر بأنه يعيش في قصر ضخم على الماء يبلغ حجمه نصف مساحة «إبليسيا».

فارس:

- ياه!! نصف مساحة العاصمة! هل يمكننا الذهاب إليه؟

معاد (ينفجر ضاحكًا):

- أتقصد الذهاب إلى قصر الملك الأكبر؟

فارس:

- نعم.

معاد:

- قد تستطيع العودة إلى عالم الإنس ولكنك لن تستطيع الذهاب إلى قصره.

فارس:

- ولماذا؟

معاد:

- هل جُننت؟ إنه قصر ملك الملوك الذي تحدثت عنه كتب الأديان وتراث كل أمم البشر، إنه قصر الشيطان الرجيم! فكيف يمكن لنا نحن البشر الاقتراب منه؟ إنه محاط بآلاف الحرس من عتاة الشيطان.

فارس:

- يا للهول! الشيطان الذي كنا وما زلنا نخافه ونحذره أصبحنا قريبين منه جدًا!.

معاد:

- دعك من الحديث عنه فنحن في هذا العالم بسببه.

بعد عدة أيام يستكمل بناء القاعدة وتجهيزها . . تأمر السلطات بإعدادها لليلة الاحتفال الكبير، ، يبقى الشبان في مبناهم. في الليل يصعدون إلى السطح ليستمتعوا بمشاهدة الألعاب النارية وينظرون إلى المدينة من الأعلى فيرونها وقد زينت وأصبحت في أجمل حلة وطرقاتها تعج بالحياة.

فارس:

- يا له من عيد بهيج.

معاد:

- بالتأكيد فهو عيد إخراجنا من الجنة!

يهلّ عليهم شيخ البشر.

شيخ البشر:

- بعد قليل سيلقي «دهار» حاكم «إبليسيا» كلمته السنوية.

أحد الشبان:

- وكيف سنسمعه؟

شيخ البشر:

- من خلال مكبر صوت ضخم سيسمعه الجميع يا أبنائي.

* * *

المدينة صاخبة والبهجة منتشرة في كل مكان.. يحضر الاحتفال في القاعة الجديدة آلاف الشياطين، نساء وأطفالًا ورجالًا وشبانًّا وشيوخًا من مختلف الطبقات.... يبدأ الحفل بإعلان إلقاء «دهار» حاكم «إبليسيا» كلمته السنوية..

مقدّم الحفل:

- الرجاء الهدوء حاكم المدينة المبجل سيلقي على مسامعكم الآن كلمة موجزة..

«فارس» بصحبة العديد من الشبان بمعية شيخ البشر يصمتون ليستمعوا جيدًا لكلمة حاكم «إبليسيا».. ما أن يعتلي المنصة حتى يعمّ الهدوء أرجاء القاعة وكافة القاعات الأخرى في كافة أنحاء «إبليسيا»..

دهار:

- الليلة نحتفل بذكرى عزيزة على قلوبنا جميعًا، ذكرى لم نتوقف عن إحيائها منذ قديم الأزل وحتى يومنا هذا وسنظل نُحييها

إلى أبد الأبد، إنها ذكرى إخراج الإنسان من الجنة، قبل آلاف مؤلفة من السنوات سكن أول إنسان في الكون جنة النعيم في مكان ما في السماوات، ولكنه لم يكن يستحقها فقد كان ولا يزال مخلوقًا ضعيفًا لا يستحق النِّعم التي هو بها، وقد تمكّن مولانا وأبانا ملك الملوك «أبا مرة» العظيم من إخراجه منها بكل سهولة، ولكن الإنسان انتقل للعيش على الأرض التي خُلق من ترابها، فهي موطنه الحقيقي وليست تلك الجنة، وقد أعادته قوة ملك الملوك إلى مكانه، فحريٌّ بنا أن نستذكر هذا اليوم بكل ما يحمله من معاني الفخر والاعتزاز بقوة أبينا «أبي مرة» المعظم وأن نعتز بانتمائنا للمخلوقات النارية ودولة «أبي مرة» الخالدة، فلولا إخراجه منها لما ظهر تفوقنا وبانت مكانتنا ولما تمكنا من بناء دولتنا العظيمة ولما أصبحنا معاشر الشياطين القوة الضاربة في هذا الوجود.

إلّا أن الحرب بيننا وبين البشر سوف تستمر حتى نسود نحن الشياطين المخلوقين من النار الأزلية كافة أرجاء هذا الكوكب ثم السيادة على الكون برمته. . . ستظل النار العنصر المقدس فهي واهبة الحياة والقوة والعطاء الأبدي، وسيظل أبانا الملك «أبا مرة» هبة النار وملك الملوك ومفخرة الدهور. . . عاشت دولة الشياطين قوية خالدة إلى أبد الأبد.

يصفق له الجميع. . بينما يتعجب «فارس» ومن معه من كلامه أشدّ العجب إلّا أن شيخ البشر يبقى صامتًا. .

فارس:

- شيخنا يبدو بأنك لم تسمع ما قاله هذا الشيطان؟.

شيخ البشر:

- سمعته من أذن وأخرجته من أذن أخرى، يا أبنائي نحن محبوسون في دارهم، ولا يمكننا القيام بأي شيء، فنحن بعيدون عن قومنا بمسافات لا يعلمها سوى الله.

فارس:

- اللعنة عليهم، إنهم يكنّون لنا حقدًا عظيمًا.

أحد الشبان:

- لقد عملنا أيامًا متعاقبة من أجل تجهيز هذه القاعة ليقيموا في النهاية حفلًا ينال منا.

شيخ البشر:

- ما باليد حيلة، إما أن نصبر أو أن نثور عليهم فيقتلونا ويفنوننا عن آخرنا.

❊ ❊ ❊

في صباح اليوم التالي يحزمون أمتعتهم ويصعدون إلى الحافلة ليعودوا إلى معسكر الجبل، يتأمل «فارس» في المدينة النابضة بالحياة حتى تغيب عن ناظريه شيئًا فشيئًا إلّا أن الطريق المحاط بالأشجار والأعشاب والبساتين الخضراء يزيل عنه الوحشة ويخفّف عنه وطأة الغربة ونير الاستعباد.. يرى «فارس» نفسه في حلم جميل.. يقود مركبته على طريق تحيط به البساتين والأعشاب

الخضراء، يشاهد أصحاب المركبات جميعهم من البشر وأنه في إحدى بلاد الإنس الغناء. . يشعر بسعادة غامرة إلّا أن صوت أحد الشبان يهدم حلمه. .

- لقد وصلنا إلى المعسكر!!

يفتح «فارس» عينيه فيرى نفسه في الحافلة. . تنتابه حالة هستيرية مفاجأة:

- أين أنا؟ كلا أنا لست عبدًا، أنا لست في دولة الأبالسة. . أعيدوني إلى أهلي. . إلى أبي وأمي وكل من أحبهم. . . أعيدوني إلى عالم الإنسان والحب والأمل والعطاء. .

يقترب منهم أحد الجنود:

- ما بال هذا العبد؟.

يجيبه شيخ البشر:

- لا تشغل بالك يا سيدي إنه مجهدٌ قليلًا.

- اعتنِ به وإن لم يسترد عافيته فأنت تعرف ما يكون مصيره.

يحمله الشبان إلى داخل المدينة على عجل، يُحقن بإبرة منومة لتهدأ أعصابه وينام فورًا، إلّا أن «فارسًا» قد خرج حلمه من أعماقه وأصبح ماثلًا بين عينيه ولن يبارحه إلى الأبد.

الحلقة الثالثة

عيد النزول

يظل «فارس» نائمًا حتى صباح اليوم التالي، يستيقظ فيجد أن معظم الشبان في المنزل قد توجهوا إلى العمل، يخرج منه ويذهب إلى بيت شيخ البشر، فيراه جالسًا يرتشف قدحًا من القهوة.

- أهلًا بك يا «فارس» استيقظت أخيرًا.

- أنا آسف يا عم عمّا بدر مني بالأمس، لم أكن أقصد.

- لا عليك يا بُني لقد كنت تحلم دون شك وعندما أفقت من نومك صُدمت بالواقع المرير الذي تعيشه.

- هذا ما حدث فعلًا ولكن كيف عرفت ذلك؟

- من طريقتك في الكلام فقد كانت تعبِّر عن صدمة وانفعال غير طبيعي، كأنك كنت تعيش في عالم وجئت إلى عالم آخر بصورة مفاجأة.

- إنني مصدوم طوال الوقت من حياتي الجديدة وأحاول التأقلم ما استطعت.

- عليك أن تعتاد الحياة هنا، بخلاف ذلك ليس سوى الموت.

- سأحاول يا عم.

- يبدو أن ذهابك إلى «إبليسيا» أيقظ في داخلك الشوق لعالم الإنس، لذا لن آخذك معي في الأسبوع القادم.

- لا يا عم، أرجوك أريد الخروج، لا أحتمل البقاء هنا كثيرًا.

- ولكن إن تكرر ما كان منك بالأمس فستكون آخر مرة تذهب معي إلى «إبليسيا».

- بأمرك يا عم، ولكن ما سبب ذهابكم في الأسبوع القادم؟

- لنجهز إحدى القاعات لإقامة احتفال بعيد آخر من أعياد هؤلاء القوم.

- وما هو عيدهم القادم؟

- إنه عيد النزول يا بُني.

- وماذا يعني؟

- هاهاها، ستعرف حينها، جهّز نفسك للعودة إلى «إبليسيا» عاصمة مملكة الملك «أبي مرة».

❊ ❊ ❊

يمر الأسبوع سريعًا، وفي اليوم المحدد يصعد الشبان إلى الحافلة مرة أخرى للذهاب إلى «إبليسيا»، تمر الحافلة بالطريق نفسه فيأتي كل شيء كسابقه، وعندما يدخلون «إبليسيا» فإنهم يشاهدون الازدحام نفسه المعهود منها، إلّا أنهم ينزلون هذه المرة في مبنى مختلف إلّا أنه لا يقل عن سابقه في كبر حجمه.. هذه المرة يفضل

«فارس» البقاء في المبنى عوضًا عن التنزه في أرجاء المدينة الجميلة التي يسكنها الشياطين.

شيخ البشر:

- لِمَ لا تذهب يا «فارس» للتنزه قليلًا؟

فارس:

- لا أريد، هؤلاء الأوغاد يعتبروننا أقل شأنًا من الحيوانات.

- أتعلم قبل خمس سنوات فقدنا أحد الشبان، بحثنا عنه عدة أيام، ووجدناه في النهاية مقتولًا وملقى على قارعة الطريق.

- يا إلهي!

- الإنسان في هذه الديار منزلته أدنى من الحيوانات، فعندما يدهسك أحد الشياطين بسيارته فإنه لن يهتم بالأمر ولن يهتم لأمرك أحد، لتنزف حتى الموت، وستكون ذا حظ كبير لو تمكنت من العودة إلى سيدك وذهب بك إلى المستشفى، نحن هنا يا «فارس» لا قيمة لنا.

- الويل لهم أعداء الله.

- هوّن على نفسك يا بُني، أنت على الأقل معك جماعة من بني جلدتك.

- وما الفائدة يا عم ونحن جميعًا رهن الاستعباد والخضوع؟

* * *

يبدأ الشبان بالعمل الشاق في إحدى القاعات الكبيرة لتجهيزها استعدادًا لعيد النزول. . .

فارس:

– حدثني يا «معاد» عن هذا العيد؟.

معاد:

– إن أجبتك أتعدني بأن لا تُصدم كعادتك؟

فارس:

– لقد اعتدت على الصدمات.

معاد:

– جيد، من المفيد أن تتحكم بانفعالاتك في هذه الديار، عيد النزول لا يختلف كثيرًا عن عيد الخروج.

فارس:

– ماذا تعني؟

معاد:

– الشياطين يحتفلون بمناسبة إخراج أبينا آدم من الجنة ويسمونه بعيد الخروج، وبعد شهرٍ منه يحتفلون بيوم نزول ملكهم «إبليس» الشيطان الأكبر إلى الأرض، وهو عيد النزول.

فارس:

– أو يفرحون بهذا اليوم؟

معاد:

– بالطبع، فعندما نزل «إبليس» إلى الأرض أسّس دولته التي

أوجدت للشياطين كيانًا خاصًّا بهم ورسخ وجودهم وأكدّ حقهم في تملّك الأرض وبنى مجدهم وكتب تاريخهم منذ غابر الأزمان فلِمَ لا يتخذونه عيدًا؟

فارس:

– وهل يعتقدون بأن هذه الأرض ملكًا لهم؟

معاد:

– ولا ملكًا لنا، إنها ملك خالقنا وخالقهم.

فارس:

– هي كذلك، ولكنهم عتاة طغاة.

معاد:

– وفينا مثلهم يا «فارس»، أليس كذلك؟

فارس:

– أتفق معك ولكن لهجتك لا تروق لي يا «معاد»، فليس بنو آدم مثل هؤلاء.

معاد:

– كلٌّ يدعي الفضل لنفسه يا «فارس»، ولا أرى أحدًا أفضل من الآخر إلّا بإنجازاته، أرجوك دعني لقد تعبت من المقارنة بين المخلوقات.

يترك «معاد» عمله ويذهب بعيدًا... يقترب منه «فارس».

فارس:

– أنا آسف يا «معاد».

معاد:

- كلا لا عليك يا «فارس» الذنب ليس ذنبك.

فارس:

- يبدو بأني أثقلت عليك.

معاد:

- على العكس أنا أحب التحدّث معك.

فارس:

- «معاد» لا بدّ لنا من أن نتدبر أمر الهروب من استعباد هؤلاء الشياطين.

معاد:

- إن خروج روحك من بدنك أسهل كثيرًا من مغادرة مملكة الشيطان.

* * *

يستمر الشبان في العمل المضني لتجهيز قاعة الاحتفال، يعملون منذ الصباح حتى مغيب الشمس، يعودون إلى مقرّ إقامتهم منهكين... يتداولون الأحاديث فيما بينهم ثم ينامون... في منتصف الليل يستيقظ «فارس» من نومه الذي جافاه.... يخرج قليلًا إلى الفناء..

- ما هذه الحياة الكئيبة التي أعيشها في دولة هؤلاء الأبالسة؟ لعمري إن الموت أحب إليَّ.

يرتدي ملابسه ويتسلّل بهدوء نحو بوابة الخروج.. يرصده الشيطان المكلف بالحراسة...

- إلى أين أيها العبد في هذه الساعة المتأخرة من الليل؟

يدنو منه بحذر...

فارس (بارتباك):

- أريد أن أتنزه قليلًا.

الحارس:

- أنت تتنزه؟! اسمع عندما تخرج من هنا فإن دمك يكون مباحًا.

فارس(بخوف):

- كيف؟

الحارس:

- أنتم كالهوام والأعاجم لا يعترضها أحد أينما ذهبت، ولكن عندما يرغب أحد في قتلها فلن يخضع لعقاب لأنه قتل مخلوق لا قيمة له.. أفهمت الآن؟.

فارس:

- نعم فهمت.

الحارس:

- اذهب أينما تذهب فأنت بيدنا وتحت سلطاننا الذي لا يقهر، ولكن إذا لم تأت على رأس عملك غدًا صباحًا فسوف يكون دمك

مهدورًا، وسيعثر عليك الجنود ويقتلونك أينما كنت. أتعي ذلك؟

فارس:

- نعم سيدي سأعود في الموعد المحدد.

الحارس:

- اغرب عن وجهي أيها المخلوق الترابي القذر.

يخرج «فارس» من المبنى. .يجلس قليلًا في إحدى الحدائق، وتنزل منه بضع قطرات من الدموع. .

- أنا مخلوق شريف أيها الوغد، خلقني الله ونفخ فيّ من روحه، ولائي لله رب السماوات والأرض، أما أنت فولاؤك لشيطان رجيم مطرود من رحمته، وملعون من على كل منابر السماوات والأرض إلى يوم القيامة.

يمشي متنفسًا الهواء الطلق. . .

- هذا الهواء، وهذا القمر المنير، وتلك النجوم الساطعة، هذا الليل الجميل الوادع، جميعها ذات وعين موجودة في عالم الإنس، ولكني غريب هنا بل مستعبد، فهذه الدولة دولة الشياطين أعداؤنا نحن البشر، وها أنا والآلاف أمثالي معتقلون في بلادهم، ولا نمتلك أي سلطة على أنفسنا، ها أنا ذا عبدٌ خاضعٌ ذليلٌ أتساوى مع القطط والكلاب وأنا الإنسان الذي كرمني ربي بالعقل والحرية، لن أقبل بهذه الحياة، لن أعود للعبودية، وإن كانت هذه الساعات آخر أيام حياتي، فالموت أحب إليّ من حياة العار.

يهيم على غير هدى، ينظر إلى السماء بليلها وسوادها، بقمرها ونجومها.... تنزل من عينيه دموع اللوعة والألم ويدعو ربه بأن يخلّصه من الجحيم الذي يقبع فيه...

يسير مسافات طويلة... يبتعد عن وسط المدينة، فيمشي في أزقة أحياء ضيقة المسالك، بينما هو سائر إذ به يسمع أنينًا غامضًا، يحاول معرفة مصدره فيرى نافذةً مفتوحةً.... يقترب منها... يشاهد رجلًا من الشياطين ممددًا على سريره وهو يتأوه من الألم...

يشعر باندفاع شديد لدخول البيت الصغير المكون من غرفةٍ واحدة....

يدخله من دون ترددٍ... يقترب منه قليلًا....

- من هناك؟

يتراجع عدة خطوات..

يحاول الشيطان النهوض إلّا أنه بالكاد يجلس على سريره، يشاهد «فارس» بالقرب من الباب..

- أنت.. اقترب مني، لا تخف.. اقترب

.. يدنو منه «فارس» قليلًا..

- أنت لست من الجن أليس كذلك؟

يلوذ «فارس» بالصمت.

- اقترب يا فتى لن أؤذيك..

يتقدم منه حتى يصبح بجانبه تمامًا . .

- أنت من البشر أليس كذلك؟

- نعم.

- عرفتك من هيئتك، هل تُسدي لي خدمة؟

- بكل سرور.

- ائتني بذلك القدح.

ينفذ ما يأمره به.

يشرب ما فيه من الماء ثم يستلقي على سريره. .

- ما الذي أتى بك إلى هنا؟ هل أنت هارب؟

- نعم.

- ألا تخشى على نفسك من الموت.

- لا أريد أن أقضي بقية حياتي عبدًا.

ينظر له بابتسامة. . .

- أتدري أيها الفتى؟ في شبابي كنت أجوب بلاد الإنس وكنت وما زلت معجبًا بحضارتكم وبما وصلتم إليه من تقدّم، أنتم مخلوقات مبدعة.

- ألا تستطيع إخراجي من هنا وإعادتي إلى بلادي؟

ينظر إليه الشيطان بابتسامة. . .

- هيهات يا أيها الفتى، فأنا مريض، وعمّا قريب سأموت.

- أحقًّا لا تستطيع؟

يمسك الشيطان بيد «فارس»

- ما أجمل يديك وما أدفأها يا بن البشر..

تنساب بضع دمعات من الشيطان...

- كنت وما زلت أعتقد بأن فوق الإنس والجن إلهًا عظيمًا لا يمكن معرفة كنه ذاته لأنه غيب مطلق، وأنه يجب علينا عبادته، ولكن سلطات دولة الملك «أبي مرة» كانت تمنع التحدث بهذا الأمر وتحظّر عبادة أي إله، وتقول بأن الكون بما فيه من مخلوقات وُجد صدفة، وكانت تنشر بين الشياطين بأن الملك «أبا مرة» هو مصدر القوة والخير للشياطين، ومصدر الشر لأعدائهم، إلّا أني كنت وما زلت أعتقد بأن ما يقولونه لا يمكن أن يكون حقيقة، لا بدّ من وجود خالقٍ عظيمٍ خلقنا جميعًا وأن الملك «أبا مرة» بكلّ ما يمتلك من قوة وعظمة ليس سوى مخلوق كباقي المخلوقات.

يستمع له «فارس» باهتمام..

- في هذه الليلة قد يفاجئني الموت في أية لحظة فأيُّ قدرٍ بعثك إلي؟ إنها القوة المطلقة لذلك الإله الذي يرفضون الاعتراف به، يشاركهم في إنكارهم العديد من بني قومك أليس كذلك؟

- بالتأكيد هناك من لا يعترف بوجود الله ولكن أعدادهم تناقصت كثيرًا.

الشيطان (ببكاء):

- كم أتمنى لو كنت على ما يرام لأعدتك إلى أهلك وقومك

جزاء وقوفك معي ومساعدتي، فبينما يتخلى عني أهلي وعشيرتي يبعث الإله لي بشرًا يواسيني ويخفّف عني.. كم أنت عظيم أيها الرب، تعطف حتى على من لم يعبدك لحظة من عمره، ولكني لن أنسى صنيعك أبدًا يا بن البشر حتى وأنا في أعماق الجحيم.

- لا تقل هذا إن الرب رؤوف رحيم يغفر لخلقه ويعفو عنهم ويسامحهم.

- أحقًّا هو كذلك؟

- بالتأكيد.

يبكي الشيطان فيبكي معه «فارس»... ثم يمسح دموعه ويخاطب فارس قائلًا:

- استمع إليّ أيها الفتى، أترى ذاك الصندوق هناك؟.

- نعم.

- افتحه، واجلب لي ما بداخله.

يذهب إليه «فارس» ويفتحه ويخرج منه رداءً وكيسًا...

- انصت لي جيدًا أيها البشري، هذا الرداء عندما تلبسه سوف تتغير هيئتك لتصبح صورتك كالشياطين فتغدو كواحدٍ منهم، فلا يشك أحدٌ في أمرك البتة، وبه سلاح ناري للحماية أيضًا، إلّا أنه لن يستمر معك إلا شهرًا واحدًا فقط من لحظة ارتدائه، أتمنى أن يعينك على العودة إلى قومك وبلادك، والكيس به خمسة آلاف داسم هو لك اصرف منه على احتياجاتك.

- سيدي لا أعرف كيف أشكرك؟

- لا تشكرني أنا بل اشكر إلهك الذي أمدك بهذا، عندما أموت ضع جثتي في تلك الحفرة هناك.

- سيدي أدعو لك بالشفاء وطول العمر.

- هيهات يا بن البشر، فقد حان الأجل ولا مهرب منه، ولكني نسيت أن أعطيك المفتاح، اذهب إلى الصندوق، ستجد مفتاحًا، خذه، وانطلق بعد دفني إلى العنوان المكتوب عليه، إنه مفتاح منزلٍ صغيرٍ في إحدى الضواحي، اسكنه مدة بقائك في «إبليسيا».

- سيدي هذا كثير.

- لا تقل ذلك بل إنه أقل ما تُجازى به، وعزة من تعبد لا يوافي هذا ما قدمته لي من إحسان في ليلتي الأخيرة في هذه الحياة، فأنت من وصلتني وأنت لست مني، بينما أهلي وقرابتي قاطعوني وذروني وحيدًا في أيامي الأخيرة.

بعد مواراتي في قبري عليك الرحيل فورًا لئلا يأتيك أحدهم ويكتشفوا أمرك.

يغمض عينيه.. يحاول «فارس» أن يوقظه من غفوته إلّا أنه قد رحل.. يبكيه «فارس» ثم يجره بصعوبة بالغة إلى مثواه الأخير.. يضعه في الحفرة ليغلق قبره على الفور وتشع منه إشعاعات كثيفة ترتفع إلى عنان السماء... يرتدي الرداء فتتغير صورته إلى صورة شيطان ويخرج من فوره.. ما أن يغادر حتى يداهم المكان مجموعة من الشياطين من أقربائه...

- من الذي دفنه؟

- لا أعرف.

- المهم أن هذا المارق الذي كان يعتنق عقائد منافية لما هو سائد بيننا منذ آلاف السنين قد هلك.

- لو علمت بأمره السلطات لحكمت عليه وعلينا بالحرق حتى الموت.

- لقد مات وانتهى أمره.

- ألا نفتش المكان؟

- لا داعي الآن، سنحصر كل ممتلكاته فيما بعد.

يغادر «فارس» على عجل باحثًا عن عنوان المنزل الصغير المكتوب على المفتاح فيجده بعد عناءٍ شديد... يرتمي من فوره على أحد الأسرّة، وينام من فرط الإنهاك والمعاناة.

في المبنى يشيع خبر اختفاء «فارس»..

شيخ البشر:

- ألم تجدوه؟

معاد:

- كلا يا عم يبدو أنه قد هرب.

- نحن الآن على أعتاب الساعة الثامنة، لقد حلّ دمه بالتأكيد. أي مهلكٍ أورد نفسه هذا الفتى؟ لقد حلّ دمه وسوف يُقتل حال رصده من قبل جنود «إبليسيا» الذين لا تعرف قلوبهم الرحمة.

يخاطب شيخ البشر الشبان.

- اذهبوا لعملكم وانسوا أمر «فارس» فقد ذهب إلى حتفه.

يرتسم الحزن على وجوه بعضهم بينما يبكي البعض الآخر...

شيخ البشر:

- لن يفيدكم هذا البكاء، اذهبوا لعملكم وإلا قتلكم هؤلاء الأشرار.

يذهب الشبان إلى عملهم، بينما يجلس شيخ البشر بصمت..

- ماذا فعلت بنفسك يا «فارس»؟ أتظن بأنك ستنجو من هؤلاء الشياطين وأنت في دارهم وتحت سلطانهم؟ كم كنت أتمنى لو كنت بقيت حيًّا بيننا لتكون أحد خلفائي على هؤلاء البشر، فالحياة وإن ضاقت يبقى فيها مقدار من الأمل والفسحة، أما الموت فليس سوى النهاية الحتمية وإغلاق لكلّ أبواب الأمل.

* * *

تبدأ احتفالات عيد النزول.. الشوارع في الليل بوسط المدينة تعجّ بالمتسوقين والمتنزهين، ينظر «فارس» من نافذة المنزل متأملًا صخب الشارع المطل عليه...

- حياتهم لا تختلف كثيرًا عن حياة البشر، إلّا أنهم أعداؤنا على كلّ حال، فهم في مثل هذه الأيام يحتفلون بنزول ملكهم «أبي مرة» إلى الأرض وتأسيسه هذه الدولة، بدهائه ومكره أنزل والدينا آدم وحواء إلى الأرض بعد أن تسبّب بإخراجهم من الجنة، يا لهذا الحقد الذي يملأ قلوبهم علينا.

لا يرى بدًّا من الخروج، يرتدي رداءه ويذهب للتسكع في أنحاء المدينة بحذر، تنتابه رغبة جامحة في التوجه إلى المبنى الذي نزل فيه مع شيخ البشر وزملائه الشبان. . يصل إليه وقد بدا الشارع المطل عليه خاليًا إلّا من الحارس نفسه الذي تحدث معه ليلة هروبه. .

الحارس:

- اللعنة عليهم، معاشر الشياطين يستمتعون بليالي العيد وأنا قابع أحرس هذا المبنى الذي لا ينزل فيه سوى العبيد.

يقترب منه «فارس». .

- من أنت؟

- وما ترى في مظهري سوى شخص من «إبليسيا»؟

- وماذا تريد؟

- مجرد عابر سبيل، رأيتك تحرس هذا المكان فأحببت معرفة سبب حراستك له لا سيما وأنه يبدو مهجورًا.

- إنه مبنى مخصص للعبيد من البشر.

- وأنت تحرسهم؟

- بالطبع، إلّا أني سأترك هذا العمل فقد سئمت من حماية هؤلاء القطيع.

يقترب منه «فارس» أكثر. . .

- ماذا لو كانت نهايتك على يد أحدهم؟

- هاهاها، أيقتلني كائن أعجمي، كيف سيحدث هذا؟ أما

نظرت إلى أجسادهم النحيلة وثقل جثثهم وضعف عقولهم، إنهم ليسوا سوى عبيدٍ لا قيمة لهم.

يخرج «فارس» المسدس من جيبه الأيمن ويطلق عليه النار ليسقط جريحًا والدماء تنزف منه بغزارة..

-الويل لك لِمَ فعلت ذلك؟

يدنو منه «فارس»

- أنا أحدهم أيها الوغد.

يخلع فارس رداءه فيراه الشيطان على هيئته الحقيقية..

- أنت ذاك الإنسي الهارب!!

- أنا هو الذي وصفته بالأعجمي أيها الوغد، أنت أول شيطان أُصفي حسابي معه.

يعود للبس ردائه ويطلق المزيد من النيران عليه فيرديه صريعًا.. يفرُّ «فارس» من مسرح المواجهة على عجلٍ متجهًا إلى مخبئه، بينما يحضر الجنود بسرعة إلى المبنى..

قائد شرطة المنطقة:

- من الذي قتل الحارس؟

نائبه:

- لعله أحد الإنس.

قائد شرطة المنطقة:

- هل جننت؟ وكيف يتمكن إنسي من قتل شيطان فضلًا عن كونه في رتبة جندي؟

نائبه:

- سمعت أن أحد الإنس هرب من هذا المبنى قبل يومين ولم يعرف مصيره بعد.

قائد شرطة المنطقة:

- وكيف تمكّن من العثور على سلاح لا يمكن لغير الجن والشياطين اقتناءه؟ ما تقوله مستحيل.

نائبه:

- ولكننا لم نعرف ما حدث له حتى الساعة؟

قائد شرطة المنطقة:

- انسَ أمره، لعله مات وأكلته الحيوانات السائبة، لا تهتم لأمره كثيرًا إنه مجرد إنسي لا قيمة له.

نائبه:

- وماذا سنفعل الآن؟

قائد شرطة المنطقة:

- سأرفع لرئيس الأمن بضرورة تشديد إجراءات السلامة في كافة أنحاء «إبليسيا»، الاحتفال الكبير بعد عدة أيام وعلينا أن نكون يقظين.

الحلقة الرابعة

قصر الهراهر

يضربها بقسوة.. يشتمها بأفدح الشتائم..

يُقيد أطرافها، يُلقي بها في قفص ويذهب بها إلى السوق..

- إنسية شابة وجميلة، هل من مشترٍ؟

لا أحد يهتم به...

- تبًّا لك يا ابنة التراب، إن لم أبعك سأتركك في هذا القفص وأرحل عنك حتى تموتي جوعًا وعطشًا.

تبكي بكاءً رهيبًا..

-اسكتي يا كتلة اللحم والعظم.

يتركها ويغادر بينما تظل حبيسة القفص والمتسوقون يمرون عليها دون اكتراث...

❊ ❊ ❊

في الظهيرة يرتدي «فارس» رداءه التنكري، ويذهب للتنزه في سوق المدينة الرئيسي، يشاهد أنواعًا مختلفة من البضائع التي تشابه كثيرًا ما تعجّ به أسواق عالم الإنس، يركز على شراء الأطعمة

والمشروبات، فيشتري خضروات وفواكه ومياه.. يستمر في تنزهه في السوق المكتظة بالمتسوقين بمناسبة عيد النزول، تقوده رجلاه إلى حيث القفص.. يجذبه الفضول لرؤية المحبوس بداخله... إلّا أن المفاجأة تذهله... امرأة من الإنس مسجونة في قفص ومعروضة للبيع...

-الأوغاد يعاملوننا كالحيوانات تمامًا، يسجنونا ويبيعوننا في أسواقهم، الويل لهم.

يدنو منها.. يتأمل في تقاسيم وجهها ونظرات عينيها..

تنظر له بحقد..

- ماذا تريد مني أيها الشيطان الرجيم؟ ابتعد عني. أريد أن أموت بشرف على أن أموت في بيت أحدكم أيها الأرجاس.

يحضر مالكها على الفور...

- أهلًا بك سيدي، هل أعجبتك هذه الأنثى البشرية؟ أتريد شراءها؟

فارس (يجيبه بتحفظ):

- لقد أعجبتني.. أهي حقًّا من الإنس؟

- بالطبع سيدي، إنها إنسية وأنا أريد بيعها لأي مشترٍ، فأنت تعلم احتياجات الأسر المتزايدة في عيد النزول المجيد.

فارس:

- بكم تريدها؟

- لن نختلف يا سيدي.

فارس:

- سأشتريها منك بخمسمائة داسم.

- مبلغ قليل جدًا، ولكني أقبل به.

يدفع له ثمنها، يمسك بها مالكها وهي مقيدة الأطراف..

- لا تلمسني أيها الشيطان، لن أخدمك ولن أمنحك أي شيء وسوف أقتل نفسي في أقرب فرصة حتى لا تنال مني مرادك يا عبد النار.

يضربها مالكها ضربًا عنيفًا...

- لو بقيتِ ملكي لقطعت لسانكِ حتى لا أسمع صوتكِ يا جيفة اللحم الفاسدة.

- فلتقطعه حتى أتخلص من عار التحدث مع أمثالك من المخلوقات الملعونة.

- يا لك من إنسية متباهية، إن لم ترضخي لسيدك الجديد سوف أُعيدك إليّ وسأرمي بك للحيوانات المفترسة لتلتهمك لحمًا وعظمًا، ولا تبقي منك شيئًا لتكوني عبرةً وعظةً لكلِّ أمة تتمرد على أسيادها.

فارس:

- لا عليك سأُربيها من جديد، وسوف تكون لي خادمة مطيعة.

إلّا أنها تجيب فارس بشراسة:

- هيهات أن يكون لك ذلك أيها الشيطان الملعون.

يقبض عليها «فارس» ويستقل أقرب سيارة أجرة ويذهب بها إلى منزله. . .

يُمسك بها بقوة وهي تصرخ وتشتم، بينما يلوذ «فارس» بالصمت المبين. . . يدخلها المنزل ويطرحها أرضًا. . . يهدأ شغبها قليلًا إلّا أنها سرعان ما تبكي بكاءً رهيبًا بينما يظل «فارس» صامتًا ومتأملًا. . . .

يذهب إلى غرفته فيخلع رداءه التنكري، يعدّ لها سلة من الفاكهة والخضروات والماء، ثم يأتي ويفك قيودها وهي تكاد يغمى عليها من الفزع. . .

-من أنت؟ أنت إنسي مثلي؟ كيف جئت إلى هنا؟.

. . لا تتحمّل أهوال الأحداث التي تمر بها فيغمى عليها. . يحملها «فارس» إلى سريره بينما يذهب إلى الغرفة المجاورة لينام. . .

تستيقظ من نومها في منتصف الليل، تشعر بجوع شديد. . . تتناول الفاكهة والخضروات وتشرب الماء لتشعر بعد ذلك بالراحة والنشاط. . تتسلل من الغرفة بحذر شديد. . تشاهد «فارس» وهو نائم في الغرفة الأخرى. . . تقترب منه بهدوء. . .

يفتح عينيه. .

فارس:

-استيقظت مبكرًا!

- من أنت؟

فارس:

- أنا إنسي مثلك واسمي «فارس».

- وأين الشيطان الذي جاء بي إلى هنا؟

فارس:

- أنا من جئت بك.

- (بغضب) إذن أنت شيطان ولست من الإنس.

يقترب منها.. يمسك بها من كتفيها وهي في اضطراب وعناد..

فارس:

- قلت لك أنا من الإنس، أنا إنسان خلقت من التراب الذي خلقت منه.

- والشيطان الذي اشتراني وأتى بي إلى هنا؟

فارس:

- أنا هو، لقد كنت متنكرًا في هيئة شيطان حتى لا يكتشف أمري، أنا وأنت نعيش في مأزقٍ واحدٍ، صدقيني.

- ولكن كيف؟ بت لا أفهم شيئًا.

فارس:

- اجلسي واهدئي وسوف أحدثك بقصتي كاملة.

* * *

يقص عليها «فارس» كل ما جرى له.... تجهش بالبكاء..

- هذا يعني بأن أمرنا سوف ينكشف بعد ثلاثة أسابيع من الآن.

فارس:

- هذا مؤكد إن لم نسارع بالهروب من هذه المملكة اللعينة.

- وكيف السبيل إلى هذا؟

فارس:

- لا بدّ من أن نحاول، ليس أمامنا خيار.

تجفّف شيئًا من دموعها.. ينظر إليها «فارس» بتمعنٍ وإعجاب.

فارس:

- أنا قصصت عليك قصتي، ولكن أنت ما قصتك؟

- فعلًا لم أخبرك أي شيء عن نفسي، أنا اسمي «مريم».

فارس:

- وكيف جئت إلى هذا العالم المخيف؟

مريم:

- كنت قد مرضت بحمى شديدة، وارتفعت حرارتي بشدة، ولما عادت لطبيعتها أصبت بسكتة قلبية مفاجأة وعدني الأطباء من الموتى، وعندما دفنني أهلي وغادروا المقبرة استيقظت ووجدت نفسي في قبر ضيق موحش ومخيف.

فارس:

- يا للهول!!.

تبكي ثم تستأنف رواية ما جرى لها..

مريم:

- أصبحت وحيدة في قبر معتم في ليلة ظلماء موحشة، كنت أستغيث رافعة صوتي بأقصى ما أستطيع حتى يسمعني أحد، ولكن لم يكن لإنسي أن يسمعني وأنا حبيسة حفرة ضيقة في مقبرة بعيدة عن العمران.

فارس:

- وماذا حدث لك بعد ذلك؟.

مريم:

- جاءني شيطان وخيرني بين أن أبقى وحيدة حتى الموت أو أن أسير معه إلى بلاده، فاخترت المجيء معه ويا ليتني لم أفعل.

فارس:

- لماذا؟

مريم:

- مثلك لا يسأل، فقد عذبوني واستعبدوني، كان شأني بينهم أقلّ من قطة في شوارعنا وبيوتنا، سنة كاملة رهيبة مليئة بالذل والهوان عشتها مع هؤلاء القساة الكفرة.

فارس- ياه! كم تعذبت يا «مريم».

مريم:

- كم كنت حمقاء عندما قبلت عرض ذلك الشيطان، فلو كنت صبرت حتى الصباح لكنت خرجت من القبر وعدت إلى أهلي

وعالمي، ولكني تعجلت الخروج، وكنت أعرف أنه شيطان ورغم ذلك ذهبت معه بمحض إرادتي، وكان هذا أكبر خطأ ارتكبته في حياتي لا أزال أدفع ثمنه حتى اليوم.

فارس:

- فعلًا كان من المفترض أن تصمدي، فالموت أو البقاء في قبر موحش أفضل بكثير من الحياة بين هؤلاء الأشرار.

مريم:

- أحيانًا تصبح الحياة موتًا، ويصبح الموت حياة، لو كنت مت في القبر لكان أشرف لي، ولكني تسرعت وفضلت الحياة التي هي في واقعها موت، لقد أخطأت خطأً فادحًا وها أنا ذا أدفع الثمن.

فارس:

- هوّني على نفسك يا «مريم» كلنا نخطىء، المهم أن نسارع إلى تصحيح أخطائنا بقدر ما نستطيع.

مريم:

- وكيف سأتمكن من تصحيح هذه الخطيئة التي جنيتها بحق نفسي؟.

فارس:

- بحسن التوكل على الله يا عزيزتي.

مريم:

- ولكن أنت يا «فارس» ما الذي جاء بك إلى هنا؟

فارس:

- حتى الآن لا أذكر شيئًا عن حياتي قبل مجيئي إلى هذا العالم، كل ما أتذكره جيدًا هو أني فتحت عيني ورأيت ذلك الشيطان الماكر وهو واقف على رأسي وبيده تلك الحقنة الرهيبة التي حقنني بها.

مريم:

- أعرفها لقد حقنوني بها أيضًا.

فارس:

- بعدها بدأت قصتي مع هذا العالم المهول.

مريم:

- والآن ماذا سنفعل يا «فارس»؟

فارس:

- نحن هنا بأمان، علينا الجلوس والتفكير بهدوء، فإما الخلاص وإما الموت في سبيله.

* * *

تعود الحيوية إلى «مريم»، وتتعافى جراحها بسرعة، وتفيق من آلامها، وتجد في «فارس» الأنيس والجليس..

فارس:

- لا أصدق بأنك أنت من كنت سجينة في ذلك القفص قبل سبعة أيام.

تبتسم وتنزل رأسها استحياءً إلا أنها سرعان ما ترفعه..

مريم:

- «فارس» بقي أسبوعان فقط وينتهي أمرنا.

فارس:

- لا تحملي همًّا يا «مريم»، فلنمت إن لزم الأمر ولكن لن نعود أرقاء لأعدائنا أبدًا، أوه الليلة هي الليلة الكبرى!!.

مريم (بقلق):

- ماذا تعني؟

فارس:

- الليلة هي ليلة العيد الكبير، عيد النزول.

مريم:

- وما يهمنا من أمره؟.

فارس:

- أريد حضور الاحتفال الأكبر الذي سيقام في قصر ملكهم «إبليس».

مريم (باستنكار):

- فارس أتود الذهاب حقًّا إلى هناك؟.

فارس:

- بالطبع، أتوق لاكتشاف حياة هؤلاء القوم، فربما نكتشف طريقة للخروج من عالمهم، أما إذا بقينا هنا فسيظل عالمهم مجهولًا بالنسبة لنا ولن نهتدي لأي طريقة للخلاص منهم.

لا يؤخر «فارس» الأمر فيلبس رداءه التنكري.. إلّا أن «مريم» تقبل عليه وهي قلقة..

مريم:

- أرجوك يا «فارس»، لا تدعني وحيدة هنا.

فارس:

- لا تقلقي يا عزيزتي، إن هذا الرداء يؤمن لي حماية كاملة، انتظري هنا ولا تغادري هذا المنزل أبدًا، أنتِ هنا بأمان تام.

* * *

يخرج «فارس» إلى الشارع فيراه مكتظًا بالمشاة والسيارات والحافلات المليئة بالركاب...

يستوقف أحد المارة...

فارس:

- عذرًا أين هو مقرّ الاحتفال الكبير؟

- الاحتفال الكبير!!

فارس:

- نعم، أليس الجميع ذاهبًا إليه؟

- كلا يا سيدي إن الاحتفال الكبير مقتصر على كبار قادة الدولة وفي مقدمتهم الملك «أبو مرة» المعظم.

فارس:

- ونحن؟!

- هناك أكثر من عشرة احتفالات كبيرة في كافة أنحاء «إبليسيا».

فارس:

- ولكن أين سيقام الاحتفال الكبير؟

- في قصر «الهراهر».

فارس:

- قصر «الهراهر»!

- إنه مقر الملك المبجل «أبي مرة» المعظم، انظر في هذا الاتجاه، ألا ترى قبة ضخمة وسط المياه؟

فارس:

- نعم أراها.

- إنها إحدى قباب قصر «الهراهر» العامر، الذي تعادل مساحته نصف مساحة «إبليسيا».

فارس:

- يا للعجب.

- يبدو بأنك غريب عن العاصمة.

فارس (باضطراب):

فعلًا لقد جئت من إحدى المدن البعيدة في أطراف المملكة.

- أهلًا بك، أينما كنت فأنت أحد أبناء هذه المملكة العظيمة التي يقودها ويرعاها مولانا «أبو مرة» المعظم.

لا يرى «فارس» بدًّا من الذهاب إلى أقرب حفل... يشق طريقه بصعوبة حتى يدخل مقرّ الاحتفال. يجلس في آخر المقاعد.. يبدأ الحفل بإجلال الملك «أبي مرة» وذكر معركته الخالدة مع الإنس، ثم تمجيد عيد النزول بتلاوة الأذكار وغناء الأناشيد وإلقاء القصائد...

بينما كان «فارس» يشاهد فقرات الحفل باهتمام إذ بشريط ذكرياته السابقة بين ناظريه..

- تذكرت الآن، صدق شيخ البشر عندما قال سأتذكر في يوم ما، لقد تذكرت... تذكرت...

يتراءى لـ «فارس» كل ما حصل له، يتذكر حياته السابقة، وكيف جاء إلى عالم الشياطين، كان قد عيّن مهندسًا زراعيًّا في إحدى القرى بالريف البعيد عن المدينة.... اضطر للإقامة في القرية وعدم النزول إلى المدينة حيث والديه وإخوته إلا في عطلة نهاية الأسبوع، كان الابن الثالث من خمسة أبناء ثلاثة شبان وفتاتين، كان محظوظًا فتعيينه لم يتأخر كثيرًا ولو أنه جاء بأجر محدود، إلّا أنها كانت بداية رائعة بالنسبة له، إذ دفعته الى اتخاذ قرار استكمال مشواره التعليمي للحصول على الماجستير خلال فترة بقائه في القرية... في ذلك اليوم خرج في نزهة مائية مع زميلين له... في وسط النهر تعرضوا لرياح عاتية. مياه النهر أصبحت هائجة بشدة. .الضباب الكثيف يعم فجأة، إلا أنهم لم يكونوا قلقين، فالمسافة إلى الشاطئ لم تكن بعيدة...

زميل:

- غريب أمر هذه العاصفة، نحن في فصل الربيع ومن النادر أن يتغير الطقس فجأة.

فارس:

- لا عليك، نحن لسنا في عرض البحر وحتى لو غرق القارب فنحن قادرون على السباحة إلى الشاطئ بكل سهولة.

يقف «فارس» مستعرضًا مهاراته..

زميل آخر:

- احترس يا «فارس» لئلا تقع في النهر.

فارس:

- لا تقلق يا عزيزي، حتى لو وقعت فلن تأكلني أسماك القرش.

يهتز القارب بشدة. يفقد «فارس» توازنه فيقع في النهر بينما تتعالى ضحكات زميليه..

يقلّل زميلاه من حركة القارب حتى يتمكن من العودة إلّا أنه كان عالقًا في مياه النهر فقد وقع على شيطان فأمسك به..

الشيطان:

- أيها الإنسي كيف تجرؤ على الوقوع عليّ؟

«فارس» لم يكن يعرف ماذا يقول وماذا يفعل، فقد غاب عنه رشده من هول الموقف الرهيب الذي يواجهه.

الشيطان :

- الآن هل ستأتي معي أم أخنقك فتطفو جثتك فوق سطح الماء؟

يوافق «فارس» وهو بين الوعي والغفوة فيختفي من فوره بينما يناديه زميلاه دون جدوى.

- لم يظهر «فارس» حتى الآن، الأمر خطير.

- لعله سبح إلى الشاطئ كما قال.

يمكثان برهة على أمل أن يعود إليهما إلّا أن العاصفة تشتد، فيضطران للعودة إلى الشاطئ ويبلغان الشرطة على الفور.

بعد انتهاء العاصفة تبدأ الشرطة بالبحث عنه في كل مكان، ترسل غواصين للغطس في النهر إلّا أنهم يخفقون في إيجاد أي أثر يدل عليه.

❊ ❊ ❊

فارس :

- الويل لكم أيها الأبالسة، ألهذا الحدّ تكرهون الجنس البشري، ليتني أمتلك القوة لأنتقم منكم؟

يغادر «فارس» الحفل وبينما هو في طريقه للخروج يلمح قلمًا وبردية ملقاة على الأرض. . . يأخذهما من حينه، ويكتب على البردية خلسة ما يختلج في نفسه ثم يلقيها في مكان مكشوف ويعود مسرعًا إلى «مريم». .

يخبرها بقصته وكيف جاء إلى عالم الشياطين.. تنسكب منها بضع دمعات...

فارس:

- ما بالك يا «مريم»؟

مريم:

- كنت أخشى من أن لا تعود يا «فارس».

فارس:

- فقط!

مريم:

- كنت أخشى من...

فارس:

- من ماذا؟

مريم:

- كلا لا شيء.

تبتعد عنه استحياء..

يدنو منها «فارس»...

فارس:

-كنت تخشين من أن أكون متزوجًا يا «مريم»، أليس كذلك؟.

تنزل رأسها حياءً...

فارس:

- مريم أيجدر بنا أن نتزوج ونحن على هذا الحال؟.

تصمت..

فارس:

- أخشى بأننا لن نعيش طويلًا.

ترفع رأسها بشموخ قائلة:

- عندما يعثر علينا هؤلاء إما أن يعيدونا إلى الاستعباد وهنا سوف نقتل أنفسنا على أن نعود للعبودية، وإما أن يقتلوننا في الحال، فلنعش أحرارًا فيما تبقى لنا من أيام.

يمسك بيديها مؤيدًا...

فارس:

- ولكن كيف نتزوج؟.

تعرض بوجهها عنه

مريم:

- أنت الرجل يا «فارس» وعليك تدبر الأمر.

يبتسم ابتسامة السعادة.

فارس:

- ولكني لا أمتلك مهرك أيتها الحبيبة؟

مريم:

- مهري أهديتني إياه يوم حررتني من ذلك الشيطان.

فارس:

- مريم، أتقبلين بي زوجًا؟.

مريم (بابتسامة خجولة):

- أقبل ولكن أين المأذون والشهود؟

فارس:

- الشاهد علينا هو الله وهو خير الشاهدين.

مريم:

- ومن سيكتب كتابنا؟

فارس:

- قلبي سيكتبه وقلبك سيوقعه.

مريم (بابتسامة حازمة):

- «فارس». . قبلت الزواج منك.

يرتبط «فارس» و«مريم» برباط الزواج ويرتميان في حضن بعضهما البعض ويقضيان ليلة دخلتهما في دفءٍ وأمان.

* * *

تصرخ امرأة فترعب كل من حولها. . .

- يا قوة مولانا المعظم أنقذينا.

يجتمع حولها خلق كثير من الشياطين وسرعان ما يأتي أحد الجنود.

الجندي:

- ما الذي حدث؟ ما بك أيتها السيدة؟.

المرأة:

- انظر ما وجدت مكتوبًا على هذه البردية.

يمسكها ويقرأ ما كتب عليها..

ينظر الجندي إلى من حوله وهو مضطرب إلّا أنه يتمالك نفسه ويخاطبهم قائلًا:

- لا تقلقوا، لا بدّ أن أحد المشاكسين قد كتب كلامًا سخيفًا، سنعرف من هو وسوف نقدمه للمحاكمة، هيا اذهبوا واستمتعوا بوقتكم فالليلة ليلة عيد النزول الأغر.

يذهب من فوره إلى رئيسه الذي بدوره يرسلها على عجل إلى رئيس الأمن العام في العاصمة، الذي لا يتأخر بالتوجه فورًا إلى مقر «دهار» حاكم «إبليسيا».....

رئيس الأمن:

- سيدي «دهار» حاكم «إبليسيا» المبجل.

دهار:

- ما الذي أتى بك في مثل هذه الساعة؟

رئيس الأمن:

- إنه أمر مهم يا سيدي.

دهار:

- أنت تعرف بأني سأذهب الآن إلى الحفل الكبير في قصر «الهراهر».

رئيس الأمن:

- أرجوك يا سيدي الأمر مهم ولكنه لن يأخذ من وقتك طويلًا.

يخرج له البردية ويضعها بين ناظريه...

دهار:

- مستحيل!!

أحد أصدقاء «دهار»:

- ما بها هذه الورقة؟

ينظر إليه بحنق

دهار:

- إنها رسالة تهديد.

صديقه:

- تهديد! من الذي يجرؤ على تهديد مملكة «أبي مرة» المعظم؟.

دهار:

- انظر!

يسلمها إليه ليقرأ ما فيها..

(قريبًا سوف تصل جيوش الجنس البشري إلى بلادكم لتدمرها، البشر قادمون لتدمير مملكة الشيطان).

صديقه:

- أمر لا يصدق، لا بدّ أنها مزحة ثقيلة من أحد العامة.

دهار:

- علينا أن نتعامل مع الأمر بجدية بالغة.

صديقه:

- وماذا ستفعل؟.

دهار:

- لا بدّ أن أخبر الملك المعظم هذه الليلة.

صديقه:

- لا أنصح بهذا، أرجو التمهل.

دهار:

- لماذا؟

صديقه:

- أظن أن هناك ثمة علاقة بين مقتل الجندي في المبنى الذي كان فيه العبيد البشريين وبين هذه الرسالة.

دهار:

- ماذا تقصد؟

صديقه:

- لقد هرب أحدهم قبل مقتل الجندي ولم يعثر عليه حتى الآن.

دهار:

- وكيف لإنسي ضعيف أن يقتل جنديًا من الشياطين؟، وأنت تعلم ضخامة أجساد جنودنا وقوتها في مقابل ضآلة أجساد البشر

وضعفها، بل كيف يظل هاربًا حتى الآن ولم يعثر عليه أحد؟

وكيف يتمكن من دخول الحفل ويكتب تهديده من دون أن يراه أحد؟.

صديقه:

- لا أمتلك إجابات شافية على كلّ هذه التساؤلات ولكني أظن أن هناك رابطًا ما بين الأحداث الثلاثة.

دهار:

- حسنًا، عند انتهاء الحفل سأجتمع فورًا مع قادة الأمن، وإن وجدت فرصة للقاء الملك فلن أتردد في اغتنامها أيضًا.

* * *

يتوجه «دهار» في موكب كبير إلى قصر «الهراهر»، حيث مقر إقامة ملك الملوك «أبي مرة»... يسير الموكب على الجسر المؤدي إلى القصر... يدخل الموكب القصر المنيف وسط إجراءات أمن مشددة في مثل هذه الليلة من كل عام حيث تحتفل المملكة بعيد النزول، والحفل الأكبر والأضخم يكون دائمًا في قصر «الهراهر» أكبر القصور الملكية وأعرقها... قصر مشيد على الماء وسط أمواج البحر العاتية... يمتد القصر على مسافة ضخمة هائلة الاتساع وتحت أكثر من خمسمائة متر تحت سطح البحر... بعض مبانيه بُنيت من الفضة وبعضها من الذهب الخالص وشيّد بعضها الآخر من أنفس معادن الأرض... لا يسمح بأن يقترب من قصر «الهراهر» حتى الهوام، ويقوم على حراسته آلاف الجنود من أعتى الشياطين..

في الأعلى قلعة «الخلوة» وهي أعلى مبنى في القصر، تمتد لمسافة ألف متر في السماء ويمكن مشاهدتها من كافة أنحاء «إبليسيا»، وفيها ينعزل الملك «أبو مرة» مرة في كل عام وتحديدًا في ليلة عيد النزول، ولا يسمح بأن يدخل عليه أحد مهما كان ولأي أمرٍ كان سوى ابنه «دهار»، حاكم «إبليسيا» والقائد الأعلى لقواتها الأمنية وقائد عام جيش المملكة.

القصر يعجّ بأكثر من مليون شخص من المدعوين وعائلاتهم وأتباعهم من كبار رجال الدولة والحكومة والوجهاء والأعيان وكبار العلماء والكهنة والروحانيين والسحرة.

يدخل «دهار» وأتباعه إلى قاعة الاحتفالات المركزية المشيدة في الزاوية اليسرى من القصر... يجلس الجميع بهدوء وهم ينصتون إلى التراتيل والأناشيد... يظهر أحد الخدام على أكبر منبر معلق في القاعة ليعلن للجميع بأن الملك الأعظم قادم.. يقوم الجميع احترامًا لذاته المقدسة... تفرش سجادة حمراء ويصطف مئات الجنود... تفتح البوابة الضخمة فيعم نور مبهر أرجاء القاعة سرعان ما ينقشع ليظهر «أبو مرة» ملك الملوك ومؤسس المملكة الكبرى والذات الخالدة على مرِّ الأزمان والعصور.. يسجد له الجميع ليعمّ الصمت الرهيب أرجاء القاعة التي تعج بالآلاف المؤلفة من بني الجان... يتقدم «أبو مرة» ومن خلفه وعلى يمينه وشماله مئات الجنود حتى يجلس على عرشه الذهبي ثم يحيطون به من كل حدب وصوب... يرتقي الجميع مقاعدهم ليبدأ الحفل الكبير...تتلى

سيرة نزول الملك المعظم «أبي مرة» إلى الأرض لينصت لها الجميع بخشوع، ثم يلقي «الهفاف» الكاهن الأعظم كلمته السنوية:

– سيدي «أبو مرة»، بنزولكم إلى كوكب الأرض بدأ عهدٌ جديدٌ في الكون، حيث شيّدتم مملكة عظيمةً خالدة، يمتد عمرها لآلاف السنوات، تحوي كل خزائن وأسرار الكون ومفاتيح الوجود، إلا أن اتخاذنا لنزولكم الميمون إلى الأرض عيدًا على مرّ العصور والدهور لا يجب أن يجعلنا نغفل عن حقيقة مهمة وهي أن هدفنا هو السيطرة على الأرض والعالم والكون، والقضاء على تلك المخلوقات المسماة بالبشر، لتصبح الكائنات النارية، وفي مقدمتها الشياطين العظام وعلى رأسهم الملك المفدى منبع المجد، وتاج الخلود «أبو مرة» المعظم، فهذا الكون هو لنا وحاكمه أنت مولانا وسيدنا، وليست هناك قوة ستقف أمامكم وإن الأمر إلى حين، وإننا عاقدون على تحقيق هذه الغاية الموعودة والعاقبة المنشودة، عهدًا حمله الأجداد منذ قدم القدم وسيبلغه الأبناء ولو بعد حين، وسوف يأتي يوم تكون فيه السيادة المطلقة على الكون برمته لمملكة مولانا «أبي مرة» المعظم.

يصفق له الجميع ثم يلقي بعض كبار السحرة والروحانيين كلمات مشابهة، ثم يبدأ المطربون بالغناء الممجد لملك الملوك، وذكرى نزوله إلى الأرض وسط العروض الراقصة والأضواء البراقة.

يستمر الحفل عدة ساعات، وبينما يتابع الحضور بخشوع تام

مشاهدة فقراته المتنوعة تتوقف العروض فجأة وتنطفئ الأنوار الزاهية، فيقف الجميع تقديسًا وتبجيلًا لملك الملوك «أبي مرة» الذي يبدأ بالخروج من الحفل بعد أن شرفه بحضوره. . . يخرج «أبو مرة» من القاعة وفي معيته مئات الحرس والأتباع وسط ترتيل نشيد وداع الملك المفدى الذي ينشده الحضور أثناء مغادرته للقاعة، ثم يمشي في طريق مرتفع مخصص له وحده بينما يحتشد آلاف الشياطين والجن من مختلف أنواعهم وأجناسهم وأعمارهم مهللين وهاتفين له بالخلود والعظمة والكبرياء السرمدي. . . يقف في وسط الطريق ليعم الصمت المطبق، يلوّح لهم بيده اليسرى، فيرددون اسمه بصوت واحد يرتفع لعنان السماء ويملأ الأرض ويخترق البحر ويطغى على صخب أمواجه العاتية، ثم ينزل الملك يده مرة أخرى فيعم الصمت، ينظر إليهم بتأمل، يرفع رأسه إلى السماء ثم ينظر إلى البحر بأمواجه الغاضبة ثم يعود ليتطلع في الآلاف من أتباعه المحتشدين في قصره المنيف. . . يلتفت عن يمينه وشماله فيرى المئات من عتاة جنوده يحرسونه وهم مستعدون للموت في سبيله. . يتنفس الصعداء ثم يستأنف سيره لتعود الجموع المحتشدة لاستئناف تهليلاتها وهتافاتها.

يستمر الملك «أبو مرة» في السير حتى يصل إلى المصعد الكهربائي، يفتح له فيدخله ليذهب به بسرعة رهيبة إلى قلعة «الخلوة». . يخرج من المصعد فتفتح له القلعة أبوابها فيدخلها ثم تغلق الأبواب ليبقى فيها بمفرده. . . يمشي بضع خطواتٍ حتى يصل

إلى كرسيه المصنوع من الذهب الخالص، يجلس عليه بصمت مطبق. . .

هدوء تام في قلعة «الخلوة» التي اجتمع حولها آلاف الشياطين لحراسة ملك الملوك «أبي مرة».

في مثل هذا اليوم منذ أكثر من نصف مليون عام نزلت من السماوات إلى الأرض. . أحسست حينها وأنا أطأ الأرض بقدمي بغربة شديدة، بكيت وانتحبت حسرت على فراقي عالم الملكوت، وما كنت فيه من النعمة والمكانة، إلا أنني بنيت دولة قوية وعلى الأرض، تتبعها عشرات الممالك وتهيمن على مئات غيرها، ويتبعني الملايين من الجن والإنس، إلا أن الجرح الغائر في داخلي لم يندمل، وعذابي السرمدي لم ولن تزيله أية انتصارات أو أمجاد ولن تخفّف منه أية أعياد أو أيام فرح أو أوقات مرح، سأبقى أنا «أبو مرة» روحًا تتألم وإن حازت كل أسباب العظمة والقوة، كيف لي أن أنسى آلاف السنوات التي قضيتها في عالم الملكوت في رحاب السماوات برفقة الكائنات النورانية، التي لا أزال أتذكرها وكأن فراقي لها كان في الأمس القريب، وكأن نزولي إلى الأرض كان قبل عدة أيام فقط.

في ذلك اليوم البعيد أخذني الملائكة الذين هاجموا قبائل الجن المتمردة إلى السماء، إلى عالم الملكوت بعد أن أذن الرب بأن أعيش بينهم، كبرت فيهم وغدوت كأني منهم، وأصبحت أعبد الرب مثلهم وسرعان ما بلغت منزلتهم، رغم كوني من الجن وهم ملائكة،

رغم أنهم مخلوقون من النور وأنا من النار، رغم أن أصلي من الأرض وأصلهم من السماء، إلّا أن الرب لم يفاضل بينهم وبيني، وجازاني بأكثر من عملي ومن عليّ بفضله ورحمته، حتى جاء ذاك اليوم الذي غيّر مجرى حياتي ومجرى تاريخ العوالم إلى الأبد..

❊ ❊ ❊

رئيس الملائكة:

- يا قوم يا عباد الله هلموا إليّ سأنبئكم بخبرٍ عاجلٍ صادرٍ من حضرة الرب المقدس.

يجتمع حوله الملائكة وكان «عزازيل» من بينهم...

رئيس الملائكة:

- لقد اقتضت مشيئة الله تبارك وتعالى أن يخلق خلقًا جديدًا سيسكنه كوكب الأرض في يومٍ ما.

يسود بين الملائكة اللغط بينما ينتاب «عزازيل» العجب..

عزازيل:

- مخلوق جديد سيسكن الأرض، هذا يعني بأنه سوف يساكن الجن.

ملاك:

- ولكن الأرض مليئة بالجن الذين أفسدوا فيها، وسفكوا الدماء فيما بينهم وكفروا بالله.

ملاك آخر:

- وقبل الجن سكنت مخلوقات عبدت الرب دهرًا ثم كفرت وسفكت دماء بعضها بالباطل فبماذا سيختلف عنهم هذا المخلوق الجديد ما دام سيسكن الأرض مثلهم؟

عزازيل (يفكر في قلبه):

- هل سيكون هذا المخلوق متفوقًا على الجن وأفضل عند الرب منهم؟

رئيس الملائكة:

- أيها المكرمون، إن الرب يخلق ما يشاء.

يهلّلون جميعهم ويسبّحون الله ثم يصطفون جماعة واحدة ويتجهون إلى ساحة الملكوت ليصلوا ويستغفروا ربهم.. ينظر إليهم «عزازيل» وهو واقف لا يدري ما يفعل إلّا أنه يقرر الانضمام إليهم ليكون في مؤخرة الركب.

رئيس الملائكة:

- انتظر يا «عزازيل» أريد التحدث معك قليلًا.

يقف «عزازيل» ويتقدم من رئيس الملائكة..

رئيس الملائكة:

- لا أراك سعيدًا بالمخلوق الجديد الذي سينضم إلى الملائكة والجان ليكون ثقلهم الثالث.

يصمت «عزازيل»..

- ما بالك يا «عزازيل» لا تتكلم؟.

عزازيل:

- لا أعرف بماذا أجيبك، الأرض يقطنها معاشر الجن وهم قومي وأنت تقول بأنه ونسله سوف يعيشون عليها في يومٍ ما.

رئيس الملائكة:

- وماذا في ذلك يا «عزازيل»؟ الأرض ليست ملكًا لأحد بل ملك خالقها، أليس كذلك؟

عزازيل:

- نعم هي كذلك، ولكن. . .

رئيس الملائكة:

- ولكن ماذا؟

عزازيل:

- ما حكمة الرب من إسكانه الأرض؟ إن الكون مليء بالكواكب التي تصلح للاستيطان.

رئيس الملائكة:

- لله في كل تدبيرة وتصريفة حكمة وهو تبارك وتعالى لا يُسأل عما يفعل ويأمر ويقرر.

عزازيل:

- لا شك في ذلك ولا ريب.

رئيس الملائكة:

- تعال معي لنلتحق بركب الملائكة لنصلي معهم ونستغفر ونسبح الرب تبارك وتعالى.

* * *

تمضي مئات السنوات في عالم الملكوت حتى قدوم ذلك اليوم. . .

رئيس الملائكة:

- أيها المكرمون تعالوا واقبلوا إلي وسط ساحة الملكوت.

تجتمع آلاف الملائكة بوسط ساحة الملكوت حيث شع بوسطها نور أضاءها فوق ضيائها «عزازيل» كان بينهم والجميع متشوق لمعرفة ما يحدث. . .

رئيس الملائكة:

- يا عباد الله، لقد خلق الرب تبارك وتعالى جسد مخلوقه الجديد وهو من طائفة البشر وأطلق عليه اسم إنسان وسمى شخصه «آدم»، وها هو جسده مسجّى ينتظر نفخ الروح فيه ليغدو المخلوق الجديد المنتظر، اقبلوا لتنظروا صنعة الرب وتسبّحوه سبحانه وتعالى.

. . . تنقشع هالة النور فتتمكن الملائكة من رؤيته. . ينظرون إليه مسبحين للخالق تبارك وتعالى. . تتوافد أفواجهم فوجًا بعد فوج لرؤية جسد «آدم» وهو مسجّى. . بعد عدة أيام تتناقص الوفود الهائلة من الملائكة الزائرة لجسد «آدم» فيتمكن «عزازيل» من رؤيته. . .

عزازيل:

- هذا هو «آدم» المخلوق الذي سيساكن بني جلدتي الأرض، يا لهذا المخلوق من أديمها كيف سيكون شأنه؟

يتقدم منه رئيس الملائكة...

رئيس الملائكة:

- ما رأيك به يا «عزازيل»؟.

عزازيل:

- من الواضح أنه خلق من التراب.

رئيس الملائكة:

- ولكنه يبدو قويًا.

عزازيل:

- ماذا تقصد؟

رئيس الملائكة:

- أعني بأن بنيته تدل على ضعف إلا أنه سيكون قويًّا بالروح التي ستنفخ فيه.

عزازيل:

- وأيهما أقوى الملائكة المخلوقة من نور أم الجان المخلوق من نار أم هذا الإنسان المخلوق من تراب؟.

رئيس الملائكة:

- عزازيل كيف ينحدر تفكيرك إلى هذا الأمر؟، سواء خلقت من

تراب أو نور أو نار فالذي خلقك هو الرب وهذا هو الأهم، وجميعنا عباد الله.

عزازيل:

- ولكنني أراه مخلوقًا ضعيفًا لا يقدر على شيء، ولا أظنه يبلغ قوتنا نحن الذين خلقنا من النار فلأي شيء يكون بمنزلتنا ويسكن في أرضنا؟

رئيس الملائكة:

- كل مخلوق يضع الله سبحانه وتعالى له رزق محتمًا، ويمنحه القوة بالقدر الذي خلق لأجله فما بالك متحاملًا عليه يا «عزازيل»؟

عزازيل:

- أنا؟!

رئيس الملائكة:

- نعم أنت، لست مطمئنًا لجدلك حوله، ما بالك وبال هذا المخلوق الذي لم نعرف خيره من شره وعلمه من جهله وقوته من ضعفه؟

يصمت بلا إجابة...

- «عزازيل» أنت تعيش في عالم الملكوت منذ آلاف السنين، وما بينك وبين الرب إلّا حجب معدودة، أنت بصحبة الملائكة الأبرار رغم كونك من بني الجان، فحافظ على ما أنت عليه من النعيم، لا يغلبنك عنصرك الناري وما ركب فيه من الشهوة فتشقى.

يصمت «عزازيل»، يلتفت تارة لرئيس الملائكة وينظر تارة أخرى لجسد «آدم» ثم يغادر على عجل...

يناديه رئيس الملائكة..

- «عزازيل» انتظر.

... لا يلتفت إليه ويذهب صامتًا.

* * *

وتمضي مئات السنين وجسد «آدم» مسجّى بانتظار نفخ الروح فيه، وفي ذات يوم نادى رئيس الملائكة على الملائكة بالتوجه إلى ساحة الملكوت والاجتماع في وسطها حيث جسد «آدم»... تتوافد عليه آلاف الملائكة، ثم يأمر رئيس الملائكة بإغلاق بوابة ساحة الملكوت.. يتمكن «عزازيل» من دخولها في اللحظة الأخيرة..

يقف رئيس الملائكة على المنصة قائلًا:

- أيها الكرام لقد حانت ساعة اكتمال خلق آدم، وإن الروح ستنفخ في جسده الساعة ليقوم بينكم حيًّا.

يتعجب الملائكة وتنتابها الدهشة الغامرة..

«عزازيل» في قلبه:

- أخيرًا سأعرف شخصية هذا المخلوق، وإلى أي مدى ستبلغ قوته وما زود به من قدرات.

ينظر الجميع إلى «آدم»، يرون أعضاءه تدب فيها الحياة شيئًا فشيئًا، وما هي إلا برهة من الزمن حتى يقوم واقفًا على رجليه

والملائكة ملبين ومسبحين لله. . ينظر «آدم» لمن حوله وكأنه يعرف كل شيء حوله. . .

رئيس الملائكة:

- أهلًا بك يا «آدم» بيننا، باركك الرب وأنزلك منزل حسنًا.

أحد الملائكة:

- سبحان من سوّى جسدك ونفخ فيه من روحه فتبارك الله أحسن الخالقين.

ملاك آخر:

- السلام عليك يا خلق الله، طبت وطاب مقدمك.

بينما يقف «عزازيل» مراقبًا للأحداث باهتمام شديد. .

فجأة يقف رئيس الملائكة على المنصة مرة أخرى. . .

- أيها المكرمون إن الرب جل شأنه يأمركم بالسجود لآدم تكريمًا له، وتسبيحًا وتعظيمًا لخالقه سبحانه وتعالى فاسجدوا رحمكم الله.

. . يصدم «عزازيل» من أمر الرب. .

- أنا أسجد لهذا؟

يصطف الملائكة صفوفًا متتالية استعدادًا لتنفيذ أمر الرب بينما يتراجع «عزازيل» للصفوف الأخيرة. . . .

عزازيل:

- مستحيل، لا يمكن، كيف يأمرنا الرب بأن نسجد لهذا المخلوق الذي خلق للتو؟ لماذا؟ ما الحكمة من ذلك؟.

يسجد رئيس الملائكة فتسجد الملائكة معه بينما يقف «عزازئيل» في آخر الصفوف.. يستمر الملائكة في السجود لآدم ساعة من الزمن ثم يقوم رئيس الملائكة من سجوده فيرى «عزازيل» واقفًا أمام بوابة ساحة الملكوت غير مهتم بما يدور حوله فيتطاير الشرر من عينيه:

- «عزازيل»، ويحك! لِمَ لم تسجد لآدم؟ اسجد له قبل أن يحل عليك غضب الرب.

..ينظر إليه «عزازيل» بلا مبالاة ثم يعرض عنه...

رئيس الملائكة:

- اسجد يا «عزازيل»، ألا تسمعني؟ اسجد لآدم.

يعاود النظر له بلا مبالاة ويخاطبه قائلًا:

- لا أسجد إلّا لله.

رئيس الملائكة:

- «عزازيل» إنه سجود تكريم لا سجود عبادة.

عزازيل:

- وإن! لا أسجد إلّا لله!

رئيس الملائكة:

- «عزازيل»!!!!

يقوم الملائكة من سجودهم فيرون رئيس الملائكة واقفًا بينما

يقف «عزازيل» بعيدًا عنهم. . . ينضمون إلى رئيس الملائكة بينما يبقى «عزازيل» وحيدًا. . .

رئيس الملائكة:

– قل لنا يا «عزازيل» لِمَ لم تسجد لهذا المخلوق؟

(يشير بيده إلى «آدم»).

يقف «عزازيل» بشموخ ثم يوجه خطابه للجميع بغضب مستطير. .

عزازيل:

– نحن جميعًا خلقنا من نور ونار وإنها لأشرف من الطين خلقة وطبيعة.

ينتاب الغضب رئيس الملائكة. . .

رئيس الملائكة:

– تحدث عن نفسك يا «عزازيل»، هؤلاء استجابوا لأمر ربهم، لا تحاول أن تشركهم في معصيتك أو تحدث الشقاق بينهم.

عزازيل:

– حسنًا! أنا عبدت الرب آلاف السنوات بينما هو خلق للتو فلماذا أسجد له؟

رئيس الملائكة – ذاك أمر الرب يا «عزازيل».

عزازيل:

- إنه خلق جديد ولم يعبد الله مثلنا فلماذا نسجد له؟ ما ميزته علينا ولِمَ نكرمه؟؟

رئيس الملائكة:

- قلت لك تحدث عن نفسك، للرب الأمر وعلينا الطاعة.

عزازيل:

- لن أسجد له.

تنظفئ الأنوار ويعم ساحة الملكوت الظلام الدامس.

رئيس الملائكة:

- يا إلهي لقد حل عليك غضب الرب يا «عزازيل».

.. تتغير ملامح «عزازيل» ويبدو عليه الخوف والهلع...

رئيس الملائكة:

- «عزازيل» دونك «آدم» فاسجد له.

عزازيل:

- كلا لن أفعل.

رئيس الملائكة:

- «عزازيل» لقد صدر أمر الرب بطردك من ساحة الملكوت.

عزازيل:

- أمن أجل هذا يطرد من عبد الرب آلاف السنوات؟.

رئيس الملائكة:

- لقد غلبك طبعك يا «عزازيل»، النار بكل ما تحمله من نزعات التكبر والغضب والطيش تمكنت منك.

عزازيل:

- لم أكن يومًا متبرئًا من خلقتي.

رئيس الملائكة:

- ولكن الجانب المظلم من نفسك تمكن منك، اتق الله ولا تبع آلاف السنوات التي قضيتها في عبادة الرب وطاعته بلحظة تكبر عاتية، إن الكبر يرمي بصاحبه إلى هوة سحيقة في الجحيم، هذا «آدم» فاسجد له ولا تكن من المتكبرين فالتكبر كفر يا «عزازيل».

عزازيل:

- كلا لن أفعل.

رئيس الملائكة:

- قبل أن يخلق «آدم» لم يكن هناك من ينافسك من الملائكة فجميعهم ليس فيهم مثل ما في ذاتك من الشهوات والغرائز ومنشغلين بالعبادة فلم تظهر عليك أي نزعة منها ولكن عندما خُلق «آدم» وهو نظيرك وثقلك استيقظت نزعاتك وغلبك طبعك في النهاية.

إن أكبر خطأ ارتكبته في حياتك يا «عزازيل» هو اعتقادك أن العبادة هي الصلاة وتنفيذ أوامر الرب، إذ غفلت عن حقيقة أن تطهير النفس وتنقيتها هو جوهر العبادة وعينها، لقد كنت كالملائكة في عبادتهم ولكنك لم تكن يومًا مثلهم في الصفاء والنقاء.

ينتاب الصمت «عزازيل»، ينظر إلى الملائكة ورئيسها و«آدم» بغضب ثم يدير ظهره إليهم.. تفتح بوابة ساحة الملكوت فيخرج «عزازيل» منها شيئًا فشيئًا..

رئيس الملائكة:

- «عزازيل» اسجد لآدم.

يقف ويلتفت إليه قائلًا:

- ما كنت لأسجد لمن خلق من تراب تمشي عليه أعاجم الأرض وتتخذه هوامها سكنًا.

* * *

تمر عشرات السنوات على «عزازيل» وهو في عالم الملكوت... مطرودًا تائهًا ومنبوذًا ليس له هدف أو مكان. كل الملائكة معرضة عنه ولا أحد يتحدث معه...

عزازيل:

- الويل لـ «آدم»! سأريكم في يوم ما حقيقة هذا الذي سجدتم له وكرمتموه علي.

بينما هو جالس في منفاه إذ برئيس الملائكة مقبل عليه...

رئيس الملائكة:

-كيف حالك يا «عزازيل»؟

عزازيل:

- من؟ رئيس الملائكة!

رئيس الملائكة:

- ما زلت تذكرني بعد كل هذه السنوات؟

عزازيل:

- وكيف لي أن أنساك؟

رئيس الملائكة:

- جميل منك هذا يا «عزازيل».

عزازيل:

- ما أخبار «آدم»؟

رئيس الملائكة:

- ولم تنس «آدم» أيضًا؟

عزازيل:

- كيف أنساه وهو سبب شقائي ونقمة ربي علي.

رئيس الملائكة:

- إنه في الجنة يا «عزازيل».

عزازيل:

- في الجنة!

رئيس الملائكة:

- لقد خلق الرب له أنثى وأسماها «حواء» وزوّجهما وأسكنهما الجنة.

عزازيل:

- عندما خلقه الرب أسجد له الملائكة، ثم خلق له أنثى وزوّجها له وأسكنه الجنة، يا لهذا المخلوق المدلل! لم يبق إلا أن يتخذه ولدًا!!.

رئيس الملائكة:

- اتق الله يا «عزازيل» ولا تهزأ بخلق الله ولا تأخذك العزة بالإثم.

عزازيل:

- عندما خلق الرب «سوميا» أبا الجن لم يذكر أنه فعل معه مثلما فعل مع «آدم».

رئيس الملائكة:

- لا يُسأل الرب عما يفعل ونحن نسأل فاعرض عن هذا.

عزازيل:

- أما قومي فعندما عصاه بعضهم شيئًا يسيرًا سلط عليهم ملائكته تقتلهم وتشردهم في أصقاع الأرض.

رئيس الملائكة:

- وأنت ما فعل بك ربك؟.

يصمت «عزازيل» ولا يجيبه..

رئيس الملائكة:

- ألم يكرمك لعبادتك وطاعتك حتى أصبحت في منزلة

الملائكة، وفتحت أمامك ساحة الملكوت تدخلها حيث تشاء، وما عاد بينك وبين الرب إلا حجب كحجب ملائكته أتنكر ذلك؟

عزازيل:

- كان ذلك بعلمي وعملي.

رئيس الملائكة:

- يا لتكبرك، ما كان لك هذا إلا بفضل الرب وبركاته عليك.

عزازيل:

- والآن ماذا تريد مني ولِمَ جئتني؟

رئيس الملائكة:

- أروم لك أن تعود عن هذا الكبر فإنه ورب العزة والجلال كفر مبين.

عزازيل:

- ثم ماذا؟

رئيس الملائكة:

- أن تتوب إلى الله فإنه الغفور الرحيم.

عزازيل:

- وإن تبت إليه أيغفر لي؟

رئيس الملائكة:

- إنه التواب على عباده يا «عزازيل».

عزازيل:

- أفعل.

رئيس الملائكة:

- حقًّا؟

عزازيل:

- إن كانت لي توبة فسوف أتوب.

رئيس الملائكة:

- إذن سأذهب لأستغفر الرب لك في ساحة الملكوت فإن منَّ سبحانه وتعالى عليك بالقبول سأجمع لك الملائكة وآتي لك بـ «آدم».

عزازيل:

- آدم!!

رئيس الملائكة:

- نعم «آدم».. ألم تقل بأنك ستتوب؟

عزازيل:

- ولِمَ تأتي بـ «آدم»؟

رئيس الملائكة:

- لتسجد له يا «عزازيل».

عزازيل:

- أسجد لآدم!!

رئيس الملائكة:

- ألم تقل بأنك عزمت على التوبة؟ لا بدّ لك أن تسجد لآدم لتكفّر عن معصيتك وتبدي ندمك على ما فرطت من طاعة الله، ولتعلن أمام الملأ بأنك تعودّ به سبحانه وتعالى من الغرور والتكبر.

يغضب «عزازيل»..

- كلا لن أفعل.

رئيس الملائكة:

- لِمَ؟

عزازيل:

- لن أسجد لـ «آدم» مهما حدث، لم أسجد له أولًا، ولن أسجد الآن، ولن أسجد له أبدًا.

رئيس الملائكة:

- اتق الله يا «عزازيل».

عزازيل:

- أنا الذي قضيت عمرًا أعبد الرب، أسجد لهذا المخلوق الذي لم تبلغ أيامه مقدارًا ولو ضئيلًا من ساعات صلواتي وتسبيحاتي.

رئيس الملائكة:

- تلك مشيئة الله.

عزازيل:

- كلا لن ولن يكون هذا أبدًا.

رئيس الملائكة:

- ستطرد من عالم الملكوت يا «عزازيل» ولن تعود إليه أبدًا، وسوف تنزل إلى الأرض وستمكث فيها بقية عمرك.

عزازيل:

- لا يهمني ذلك.

رئيس الملائكة:

- قد يجري عليك ما يجري على أهل الأرض من الضعف والشيخوخة والعجز والمرض والموت.

عزازيل:

- هذا أحب إليّ من السجود لـ «آدم».

رئيس الملائكة:

- ضل سعيك يا «عزازيل»، ليس لي بعد هذا ما أجادلك به، لقد غلبتني بتكبرك.

يعرض عنه ويمضي مبتعدًا بينما ينتاب الغضب «عزازيل»...

عزازيل:

- لئن مُكنت من «آدم» لأرينكم كيف أنه مخلوق ضعيف لا يقل عني عصيانًا وطغيانًا! سوف أريكم كيف أن «آدم» مخلوق متكبر لا يقل عني غرورًا! سأثبت لكم بأن سجودكم له كان خطأً وإن كان صوابًا، سأثبت لكم بأننا معاشر المخلوقات النارية أفضل أصلًا وطبعًا من هذا ونسله المخلوقين من تراب تدوسه الأعاجم ليلًا ونهارًا.

* * *

«آدم». . إن الصراع بيننا لم ينته بعد، آلاف السنوات والحرب بيننا سجال، حتى الآن لم أتمكن منك ومن نسلك، النصر هو أن أوقع البشر في حرب مدمرة تسقط حضارتهم وتمحي كل ما حفظوه وأتقنوه، وتهلكهم فلا يكون منهم إلا عدد قليل. . . حرب تزيل دولهم وتدمر مدنهم وتمحو آثارهم لتصبح كعصف مأكول أو كرماد تذروه الرياح، حينها فقط سأتمكن أنا وأتباعي من المخلوقات النارية العظيمة من الظهور واحتلال الأرض والسيطرة عليها واستعباد ما تبقى من البشر لتغدو الأرض ملكنا لنا وحدنا، حينها فقط ستبعث الحقيقة الغارقة في أبحر الدم، وستحرق النار المقدسة كل من لا يدين لها بالولاء والطاعة الأزلية.

ولكن كيف السبيل إلى تحقيق هذه الغاية العظمى؟ آلاف السنوات والبشر ينشئون حضاراتهم ويخوضون الحروب ضد بعضهم البعض، وكلما سقطت حضارة قامت أخرى، وكلما اشتعلت حرب انطفأت، تمكنت من إيقاع البشر في حربين كبيرتين قتلت الملايين منهم، ودمرت الكثير من مدنهم ومعالم حضارتهم إلا أنهم نهضوا من جديد.

وضعت أعتى الشياطين قرناء للعديد من الحكام فعاثوا جورًا وقتلوا ودمروا وتسببوا باندلاع الحروب التي قتلت الملايين من البشر وأشاعوا الظلم والبغي على مناطق شاسعة من بقاع الأرض، إلّا أن الرحمة الإلهية هدت أعداءنا البشر إلى ما أذهلني حقًّا، عندما

جاء فلاسفتهم بما أسموه الحكم الرشيد وما أطلقوا عليه بدولة الإنسان الجديدة، وغيروا نظام حياتهم إلى آفاق رحبة من الرشد والانضباط بما لم يعرفوا لها مثيلًا في أزمنتهم الغابرة، فقامت حضارة جديدة وازدهرت بلدان عديدة من بلدانهم وساد الرخاء وتراجعت الحروب وأزهرت مدنهم ونواحيهم، فكانت وما زالت حجر عثرة أمام الوصول إلى تحقيق غايتي الكبرى.

لقد انتشر الإلحاد في الأرض برهة من الزمن وكانت له دول كبرى وصغرى إلا أني لم أستطع أن أدفع بها إلى شنِّ حرب مدمرة ضد غيرها من الدول وسرعان ما سقطت ولم تكمل مائة عام من عمرها وانهار الإلحاد معها، فعاد ذكر الله على كافة الأراضي التي كانت تسيطر عليها حكوماته، فعادت كل مخططاتي إلى مربعها الأول وظل صراعي مع البشر لا يبارح مكانه.

إن النهضة الكبرى التي يعيشها نسل «آدم» لم تغنهم حتى الآن عن عبادة الله وذكره، وها هو الإيمان ينتشر بينهم انتشارًا لم يسبق له مثيل رغم اختلاف أديانهم، وها هم البشر أقوياء.

كل يوم يكتشفون ويخترعون وينتجون بمستوى لم أعهده منهم طوال آلاف السنوات الماضية، وإذا ما استمروا في تقدمهم فليس بمستبعد أن يبلغوا الحجب التي بيننا وبينهم، حينها ستحدث الكارثة العظمى في هذا العالم الذي يجمعنا معنا.

الويل لك أيها الإنسان، إنك مخلوق ضعيف لا تقوى على

شيء، فأنت لا تستطيع التحليق في السماء ولكنك تمكنت من الطيران! أنت لا تستطيع السير على الماء فاخترعت السفن! لا تستطيع الغوص في أعماق البحار فاخترعت الغواصات، وبلغت القمر والكواكب والنجوم البعيدة في الفضاء!

جسدك ثقيل لا يمكنك السفر به فامتطيت الخيول والجمال ثم اخترعت المركبات التي تقطع بها آلاف الكيلومترات في ساعات معدودة.

كل قدرة تميزنا نحن الجن حزتها رغم جسدك الضعيف الذي لا يقوى على شيء، وكل قوة في السباع والجوارح بلغت مثلها.

ولكنها الحرب سجال، وسوف أنتصر عليكم أيها البشر يومًا ليشرق على هذا العالم عهدٌ جديد.. إنه عهد «أبي مرة» الذي كان يومًا حاكمًا على سماء الدنيا وسوف يكون حاكمًا على كوكب الأرض وستتحولون إلى عبيد خاضعين، العلم والمجد والفضل سيكونون فينا لا ينازعنا فيهم أحد قط، ملاكًا كان أو إنسانًا أو أي مخلوقات أخرى تعيش في إحدى نواحي هذا الكون الواسع المتسع، نحن فقط آل مرة سنسود وستكون لنا القوة والعظمة أبد الدهر.

إن أول الطريق في سبيل تحقيق هذا الهدف العظيم والغاية الكبرى يبدأ بالسعي للفصل بين العلم والإيمان وتحويل العلم البشري إلى علم أناني نرجسي، ليطغى العلم على الإيمان والقيم

البشرية، حينها ستقع الكارثة الكبرى التي أتوق إلى تحقيقها، الحرب الضروس بين أمم البشر، حرب تؤدي إلى تدمير حضارتهم وإهلاك المليارات منهم.

كم أتوق لذلك اليوم الذي أخرج البشر فيه من الأرض مثلما أخرجت أباهم «آدم» من الجنة، كم أتوق لرؤيتهم متساوين مع أعاجم الأرض وجوارح السماء، حينها فقط ستندمل جراحي وسيسكن ألمي إلى الأبد.

يقطع خلوته أحد الحراس:

- سيدي الابن الأكبر «دهار» حاكم «إبليسيا» العامرة يستأذنك بالدخول..

يلتفت له بغضب قائلًا:

- أدخله.

يتقدم «دهار» ويقف احترامًا وتبجيلًا لأبيه الملك..

دهار:

- سيدي ومولاي «أبو مرة» المعظم السلام والولاء لك وحدك يا أبا المجد والعظمة والكبرياء.

ثم يقبّل يديه ورجليه...

الملك أبو مرة:

- ما وراءك؟ لا بدّ أن أمرًا مهمًا جاء بك.

دهار:

- وهل هناك أهم من أمن مملكتنا العظيمة، وعلى رأسها فخر المدائن «إبليسيا».

الملك أبو مرة:

- قل فأوجز!

دهار:

- أرجو يا أبي أن تقرأ هذه البردية.

يمسكها «أبو مرة» ببرود ويقرؤها في ثوانٍ، ثم يرجعها له..

الملك أبو مرة:

- هل هذه التي جئت لأجلها؟

دهار:

- نعم يا أبي.

يقف ويمشي معه قليلًا باتجاه الشرفة الرئيسية في قلعة الخلوة...

الملك أبو مرة:

- كيف ترى هذه الأمواج العاتية من الأعلى؟

دهار:

- إنها رهيبة جدًا.

الملك أبو مرة:

- كيف تمكنت من بناء قصر «الهراهر» عليها؟

دهار:

- بما تملكه من قوة يا أبي.

الملك أبو مرة:

- القوة وحدها لا يمكن أن تبني وتعمر.

دهار:

- فماذا قبل القوة يا أبي؟

الملك أبو مرة:

- إنه العلم هو مصدر القوة، بالعلم نجدد قوتنا ونزيدها لتكون طاقة لا يمكن لأحد مجابهتها إلا أن يكون ندًّا لنا في العلم والقوة معًا.

يعود لتقبيل يديه ورجليه.

الملك أبو مرة:

- ما كتب على هذه البردية كتبها بشر تمكن من الهروب من معسكر الجبل.

يستمع له في ذهول...

- ثم تمكن من الحصول على رداء أحد الشياطين فتنكر به، وهو الذي قتل حارس المبنى الذي نزل به شيخ البشر ومن معه من العبيد.

دهار:

- أبي أنت أعظم كائن في هذا الوجود.

الملك أبو مرة:

- اذهب واقتله ولا تراجعني فيه وإلّا عزلتك عن إدارة «إبليسيا» ونفيتك إلى مدينة تليق بفشلك.

دهار:

- أعدك يا أبي أن آتي لك برأسه.

الملك أبو مرة:

- عدت إلى خفتك وقلة عقلك!.

دهار:

- لماذا يا أبي؟

الملك أبو مرة:

- أتُدخل على أبيك ملك الملوك قتيلًا من أراذل البشر وعامتهم؟

دهار:

- العذر والمغفرة يا مولاي.

الملك أبو مرة:

- اذهب ولا تراجعني في هذا الأمر.

دهار:

- بأمرك مولاي.

* * *

يعود «دهار» إلى مقر حكمه ويستدعي رئيس أمن العاصمة.

دهار:

- لا تراجعني في شأن هذا البشري بعد اجتماعنا هذا.

رئيس أمن العاصمة:

- أمرك سيدي.

يخبره بما قاله له والده ملك الملوك «أبو مرة».

دهار:

- هل اتضح الأمر أمامك الآن؟

رئيس أمن العاصمة:

- سنقتله خلال أيام وجيزة.

دهار:

- كيف؟

رئيس أمن العاصمة:

- بعد المعلومات التي نقلتموها عن والدكم الملك المعظم فإن كل شيء أصبح واضحًا، فقبل عدة أيام جاءنا أقرباء عائلة شيطان توفي قبل فترة وأبلغوا بأنهم لم يجدوا رداءه وخمسة آلاف داسم كانت بحوزته، الآن من الواضح تمامًا أن البشري الهارب تمكن من الاستيلاء على المبلغ والرداء وهو متنكر به الآن، لذا تمكن من قتل الجندي وحضور الحفل والكتابة على البردي بكل سهولة.

دهار:

- وماذا ستفعل؟

رئيس أمن العاصمة:

- إننا بصدد جمع معلومات عن ممتلكات الشيطان المتوفى، ثمة احتمال كبير بأن البشري يقطن في منزل أو نزلٍ دله عليه الشيطان قبل وفاته، وسوف نداهمه فور حصولنا على المعلومات المطلوبة.

دهار:

- أتمنى ألا تراجعني في هذا الشأن، اقتله حال القبض عليه وارم بجثته للحيوانات.

رئيس أمن العاصمة:

- أمرك سيدي.

يخرج مدير الأمن ويجتمع مع قياداته ويأمرهم بالعمل الحثيث لاصطياد الكائن البشري، ثم يستلقي على مكتبه ليأخذ قسطًا من الراحة..

- لن أنسى أبدًا أن شخصًا من البشر ليس له مكانة بين بني قومه أحدث لنا كل هذا الضجيج، إن تهديده الكتابي أوضح لنا أننا معاشر الشياطين رغم قوتنا وعلمنا لا نزال نخاف البشر، بالرغم من أننا نراهم ولا يروننا، بالرغم من كثرتنا وقلتهم، رغم تفوقنا عليهم في جوانب عديدة إلّا أن ورقة بردي واحدة أحدثت كل هذا الذعر في صفوف شعبنا الشيطاني، وأين؟ على أرضه وفي عاصمته! فما بال الجن الأقل منا شأنًا وعلمًا وقوة؟ لو سمع مني «دهار» هذا الكلام لقتلني على الفور!! ولكني لن أنسى فعلتك أيها البشري... كم أنت شجاع حقًّا، أشهد لك بالشجاعة رغم أني قاتلك لا محال،

فتحديك لنا كشف لي الكثير مما كنت أجهله... يا ترى أين أنت الآن وماذا تصنع؟ لو كان الأمر بيدي لاتخذك عبدًا مكرمًا عندي، أستخرج منه القوة الكامنة في أعماقه.

يظل أسيرًا لأفكاره وحيرته بينما يرسم القدر لـ «فارس» أحداث حياته في مملكة الشياطين.

الحلقة الخامسة

الطبق الطائر

يهل صباح يوم الزواج الأول على «فارس» و«مريم». . .

مريم:

- «فارس» قم من نومك، أنا مستيقظة منذ زهاء ساعة.

فارس:

- دعيني أنام قليلًا، لا تنسي بأننا لن نخرج من البيت هذا اليوم.

مريم:

- لماذا؟ أريد أن أتنزه قليلًا في المدينة.

ينهض مبتسمًا. .

مريم:

- لماذا تبتسم هكذا؟.

فارس:

- لأنك تتصرفين وكأنك في إحدى مدن الإنس، لا تنسي بأننا نعيش في «إبليسيا» عاصمة مملكة الشيطان.

مريم:

- وأنا لا أراها تختلف عن مدن الإنس في شيء.

فارس:

- لا تأخذي الأمور من ظاهرها، أتعلمين ماذا فعلت في الحفل الذي حضرته الليلة الماضية؟

مريم:

- ماذا؟

فارس:

- وجدت بردية فكتبت عليها بأن جيوش الإنس قادمة لغزو «إبليسيا».

تُصدم مريم من كلامه...

مريم:

- يا إلهي لماذا فعلت ذلك؟

فارس:

- لا أعلم، في قلبي غلٌّ كبير فقررت إخراج بعضه بهذه الطريقة.

مريم:

- «فارس» علينا الخروج من هذا البيت فورًا.

فارس:

- (بتعجب) لماذا؟ بقي علينا أسبوع قبل انتهاء صلاحية الرداء.

مريم:

- حبيبي، قد يهاجموننا في أية لحظة.

فارس:

- وما أدراهم بمكاننا؟

مريم:

- فارس أتذكر عندما حكيت لي الأحداث التي مررت بها هنا ومنها قتلك لذلك الجندي؟.

فارس:

- نعم.

مريم:

- قد يربطون بين مقتله وهذا التهديد.

فارس- وإن فعلوا؟

مريم:

- أليس هناك احتمالٌ بأن يكونوا قد اكتشفوا أمر الشيطان الذي أهداك الرداء ويهتدوا على إثره إلى مكاننا.

فارس:

- وكيف لهم أن يعرفوا؟

مريم:

- لا شك أن لهم طرقهم الخاصة يا حبيبي، إنني أشعر أنهم قريبون منا.

فارس:

- أنت تبالغين يا عزيزتي.

مريم:

- كلا إنها بلادهم وهم يعرفون كيف يحفظونها ولهم أساليبهم التي نجهلها.

فارس:

- وماذا ترين؟

مريم:

- علينا مغادرة هذا المنزل فورًا؟

فارس:

- وإلى أين نتجه؟

مريم:

- فلنخرج ولنر ماذا نفعل، إن وجدونا هنا سوف يقتلوننا على الفور.

يرتديان ملابسهما، يحمل فارس ما تبقى لديه من النقود ويغادران المنزل، يستوقفان سيارة أجرة لتأخذهما إلى وسط المدينة، ما أن يخرجا حتى تداهم المنزل فرقة من الجنود...

يفتشونه بدقة فيجدون آثارًا لملابس «فارس» و«مريم» وبقايا طعامهما وشرابهما.. يشغلون أجهزة رصد الذبذبات فيرصدون آثارًا لترددات مختلفة عن ترددات أجساد الجن والشياطين...

جندي:

- سيدي أجهزتنا رصدت حياةً بشرية في هذا البيت.

رئيس الفرقة:

- لا شك أنها للعبد الهارب.

يعيدون تفتيش المنزل مرة أخرى...

الجندي:

- سيدي يبدو أنه لم يكن بمفرده ولكنه غير موجود.

رئيس الفرقة:

- أغلقوا كافة مداخل الأحياء (٢٤) و(٢٥) و(٢٦) وانصبوا نقاط تفتيش، اقتلوه فورًا حال عثوركم عليه.

الجندي:

- أمرك سيدي.

* * *

في سيارة الأجرة يشاهد «فارس» أطباقًا طائرة تستعرض في الهواء...

فارس:

- ما الذي يحدث؟

السائق:

- إنه مهرجان «إبليسيا» السنوي لعروض طيران الأطباق الطائرة.

ينظر «فارس» إلى «مريم»

مريم:

- بماذا تفكر؟

فارس:

- يبدو أنها فرصتنا الوحيدة السانحة.

مريم:

- ولكن!!

فارس:

- أيها السائق خذنا إلى هناك.

يدخلان ساحة المهرجان فيشاهدان آلاف الشياطين وهم يتمتعون بعروض الطيران التي تقوم بها الأطباق الطائرة التابعة للجيش...

ينظران إلى شباك تذاكر يصطف عليه العشرات..

مريم:

- هل ستقف معهم؟.

فارس:

- بالطبع.

مريم:

- ولكنها عملية خطيرة.

فارس:

- نحن مهددون بالتصفية في أية لحظة ولا خيار أمامنا.

تضع يدها في يده. . .

مريم:

- إذا كان ولا بدّ فلنمُت مقاومين لا أن نذبح كالخراف.

يقف فارس في الصف الطويل حتى يصله الدور في شراء التذكرة، ثم ينتظران بقلق حتى يحين دورهما في ركوب الطبق الطائر. . .

بعد انتظار مشدود الأعصاب يمسك «فارس» بيد «مريم» ويتوجهان إلى الطبق الطائر. .

- قف!!

يسمع «فارس» هذا الأمر بانصعاق بينما بدا على «مريم» الذهول. .

يتقدم منهما شرطي. . .

الشرطي:

- سيدي أرني تذكرتك من فضلك.

يخرجها «فارس» من جيبه ويسلمها إليه بصمت مشوب بتوتر شديد. . .

يتطلع الشرطي في وجهه مليًّا ثم ينظر إلى «مريم». . .

- سيدي لا يمكنك الصعود مع هذه الأنثى البشرية.

يسترد «فارس» أنفاسه، ويستعيد رباطة جأشه. . .

فارس:

- إنها مجرد أمَة!

الشرطي:

- قد تكون خطرة خاصة وأنها ستكون في الجو.

فارس:

- لا تقلق ستكون على مسؤوليتي الشخصية ويمكنني تقييدها إن كان هذا ضروريًّا.

الشرطي:

- لا يمكنني تحمل مسؤولية ذلك.

فارس:

- وما العمل؟

الشرطي:

- لحظة واحدة من فضلك.

يمسك بجهاز اللاسلكي ويتصل برئيسه..

الشرطي:

- سيدي أمة من البشر ستصعد إلى الطبق الطائر على مسؤولية مالكها.

الرئيس:

- أرسله إلى المكتب (٧٧)

الشرطي:

-أمرك سيدي.

يوجه الشرطي خطابه إلى «فارس»:

- سيدي عليك الذهاب إلى المكتب (٧٧).

- لماذا؟

- لا أعرف، هذا ما أمرني به رئيس شرطة المعرض.

يأخذهما الشرطي إلى المكتب (٧٧) وهما في غاية القلق. . .يدخلان الغرفة ويجلسان حتى يأتيهما أحد الضباط. .

الضابط:

- لماذا تريد اصطحاب هذه الأمة معك؟

فارس:

- (بتوتر) إنها مجرد أمة وأنا آخذها معي أينما ذهبت.

الضابط:

- ولكن يحظر على غير الشياطين صعود الأطباق الطائرة.

فارس:

- صدقني لا خوف منها.

الضابط:

- المألوف في مثل هذه الأماكن أن يصطحب المرء زوجته وأطفاله أو يأتي برفقة أصدقائه أما أنت فأتيت بصحبة أمتك!!.

فارس:

- لست متزوجًا وأصدقائي مشغولون بأعمالهم فلم أجد سوى أمتي.

الضابط:

- هل حقنتها بإبرة الترددات؟

فارس:

- نعم سيدي انظر!!

الضابط:

- حسنًا موافق ولكن مع تقليص مدة الرحلة من ساعة إلى نصف ساعة وأن نصورها وندوّن معلوماتها كاملة.

ينظر «فارس» إلى وجه «مريم» بانفراج...

- حسنًا موافق

يأمر الضابط الشرطي بأخذ «مريم» لغرفة التصوير وتقليص مدة الرحلة... ينفذ ما يأمره به، ثم يقوم بتفتيش مريم تفتيشًا سريعًا قبل دخولها مع «فارس» إلى الطبق الطائر...

يستلقي «فارس» و«مريم» على مقعديهما وأنفاسهما تكاد تنقطع من هول القلق والاضطراب...

يمسك «فارس» بيد «مريم»..

فارس:

- مريم كما أنا سعيد بنجاحنا.

مريم:

- أنا أكثر منك سعادة.

فارس:

- لقد قضينا أوقاتًا جميلة مع بعضنا البعض، ربما تكون الأخيرة في حياتنا.

مريم:

- لن أنساها أبدًا حتى وأنا في العالم الآخر.

فارس:

- ومن قال لك بأنك ستكونين بمفردك هناك، سأبحث عنك حتى أجدك، سأكون رفيقك هنا وهناك.

مريم:

- «فارس».

فارس:

- نعم.

مريم:

- أحبك.

فجأة يدخل الطيار الذي يحيي «فارس» ويطلب منه أن يبقى إلى جانبه وأن يجعل «مريم» في المقعد الخلفي.

فارس:

- أليس مسموحًا بأن تبقى إلى جانبي؟.

ينظر إليه بازدراء ثم يجيبه قائلًا:

الطيار:

- إنها أمتك وليست زوجتك! ثم كيف تساويها معنا وهي من البشر ونحن شياطين؟

فارس:

- لديك حق.. أنا آسف لم أكن أقصد.

الطيار:

- أفضل ما في الإماء البشريات هو في كونهن مسليات وفاتنات أليس كذلك؟

فارس:

- بالطبع!

يستعد الطيار للتحليق.. يأمر «فارس» بربط حزام الأمان وبدوره يشير على «مريم» بذلك... يشغل الطيار كافة الأجهزة ومع لحظة الصفر ينطلق محلقًا في السماء..

الطيار:

- الآن يمكنك فك حزام الأمان والاستمتاع بالأجواء.

فارس:

- شكرًا لك.

الطيار:

- تستطيع أن تفتح البوابة العلوية لترى السحب عن قرب، إنها تجربة رائعة.

فارس:

- سأفعل، سأرى ما إذا كانت هذه الجارية بحاجة إلى شيء وأعود حالًا.

الطيار:

- عندك مشروبات تستطيع تناول ما تريد منها.

فارس:

- شكرًا لك سأحضر بعضًا منها لنشرب سويًّا.

يتقدم نحو «مريم»..

ينظر كلٌّ من فارس ومريم إلى بعضهما البعض باضطراب.. يراقب «فارس» الطيار المنشغل بالقيادة.... يأخذ أنفاسًا عميقة ثم يتجه له من فوره ويخرج مسدسه ويوجهه نحو ظهره..

الطيار:

- أنت ماذا تفعل؟

فارس:

- اسمع أريدك أن تخرجنا من أجواء دولتك اللعينة فورًا.

الطيار:

- ماذا؟! مستحيل!

فارس:

- افعل ما آمرك به وإلا سأطلق عليك هذه الرصاصات التي سوف تمزقك إربًا.

الطيار:

- من أنت يا هذا وماذا تريد؟

فارس:

- أنا «فارس» الإنسي!

الطيار:

- أنت من يبحثون عنه؟.

فارس:

- نعم أنا.

الطيار:

- استمع إلي.. لا يمكنني الخروج من أجواء المملكة.

فارس:

- لا أصدق، توجه حالًا إلى آخر منطقة طيران على أن تكون قريبة من عالم البشر.

الطيار:

- مستحيل لن يسمحوا لي بذلك، ثم إني إن خرجت من أجواء المملكة سترصدني رادارات جيوش الإنس وسيتمكنون من اعتقالي.

فارس:

- افعل ما أقوله لك وإلا قتلتك.

يتجاوز الطيار المسار المخصص له ويحلق مبتعدًا عن أجواء «إبليسيا» متجهًا نحو الحدود. يتلقى اتصالًا عاجلًا من برج المراقبة..

برج المراقبة:

- قائد الطائرة رقم (٥٤) ماذا تفعل وإلى أين تتجه؟

الطيار:

- أنا أتجه خارج الحدود.

برج المراقبة:

- عد حالًا غير مسموح لك بمغادرة الأجواء.

الطيار:

- أنا مجبر على ذلك.

برج المراقبة:

- عُد.. عليك طلب الإذن بالمغادرة.

الطيار:

- أطلب السماح بمغادرة أجواء المملكة.

برج المراقبة:

- طلب مرفوض.. عُد فورًا.

الطيار- لا أستطيع.

يرفع الأمر إلى «دهار» حاكم «إبليسيا» وقائدها العسكري الذي يأمر بفتح جهاز المراقبة المرئي...

دهار:

- أليس هذا هو الإنسي الهارب؟

مساعده:

- إنه هو.

دهار:

- ومن هذه الإنسية التي معه؟

مساعده:

- لا أعرف، لم يبلغ عنها كمطلوبة.

دهار:

- سجلوها معه في قائمة الموت.

مساعده:

- أمرك سيدي.

دهار:

- دعني أتحدث معه..

مساعده:

- حاضر.

دهار:

- أنت أيها الإنسي لا أمل لك بالرجوع إلى قومك، أعدك إن استسلمت بأن أعيدك إلى معسكر الجبل من دون عقاب، وأن تأخذ أنثاك معك.

فارس (بقوة وصلابة):

- هذه ليست أنثاي بل زوجتي، ونحن لسنا أعاجم بل مخلوقات شريفة، ولسنا عبيدًا بل أحرارًا.

دهار:

- حكمتما على نفسيكما بالموت.

يغلق «دهار» خط الاتصال..

مساعده:

- بماذا تأمرنا يا سيدي؟

دهار:

- إلى أين يتجهون؟

مساعده:

- إلى منطقة صحراوية شمال شرق.

دهار:

- عندما يصلون إلى هناك أحرقوا الطيار.

مساعده:

- ماذا؟!

دهار:

- افعل ما آمرك به، أحرقوا الطيار حتى يتحطم الطبق الطائر وينتهي أمر جميع من فيه.

مساعده:

- ولكن.

دهار:

- افعل ما آمرك به.

مساعده:

- حاضر سيدي.

يستمر الطبق الطائر في الطيران حتى يصل إلى المنطقة الصحراوية..

يشعر الطيار بالإنهاك...

فارس:

- ما بك؟

الطيار:

- أشعر بتعب مفاجئ.

فارس:

- أين سترة النجاة؟

الطيار:

- لماذا؟

فارس:

- قد يسقط طبقك هذا.

الطيار:

- أنت ذكي أيها الإنسي.

فارس:

- هل كنت تظن بأنكم فقط أهل العقول وأذكياء العالم وحملة العلم!

الطيار :

- يومًا ما سنكون سادة الأرض وسيصبح كل البشر عبيدًا لنا .

فارس :

- لن يحدث هذا أبدًا ، إن كان هذا حلم مولاكم «أبي مرة» فإنه ليس سوى سراب .

الطيار :

- الويل لك كيف تجرؤ على الإساءة إلى ملك الملوك قائدنا ومولانا «أبي مرة» المعظم؟

فارس :

- إنه مخلوق مثلكم ومثلنا ومثل كل ما في هذا الوجود من مخلوقات .

الطيار :

- الكون وُجد صدفة ، وجميع ما فيه من مخلوقات أقل شأنًا من الجن ومن الشياطين وعلى رأسها كان الملك المعظم أبو مرة» .

يزداد تعبه . . يخلع «فارس» رداءه التنكري ويرتدي مع «مريم» سترة النجاة ثم يخاطب الطيار . .

فارس :

- ألن ترتديها؟

الطيار :

- أتشعر بالذنب تجاهي؟

فارس:

- لا أريد أن يصيبك أذى فأنت وإن كنت عدوّي إلا أنك لم تسئ إلي.

الطيار:

- غريب طبعكم أيها البشر، أتعرف لو تمكنت منك لقتلتك.

فارس:

- وأنا أيضًا لو هاجمتني لقتلتك، فيما عدا هذا لا أجيز لنفسي استباحة دمك.

يقف الجندي ثم يترنح في مشيته... يشعر بآلام فظيعة.. سرعان ما تشتعل النيران في جسده...

يهتز الطبق الطائر... يشعر «فارس» و«مريم» بقرب نهايتهما... إلا أن فارسًا يبحث عن مفتاح البوابة ليعثر عليه ويتمكن من فتحها..

يقفان على حافتها والطبق الطائر على وشك السقوط..

يمسكان بيد بعضهما ويقفزان من الطبق الطائر الذي يتهاوى على الأرض وينفجر، بينما يسقط «فارس» و«مريم» على رمال الصحراء الناعمة.... يسيران فورًا للبحث عن ملجأ....

تصل الأطباق الطائرة وتهبط على الأرض وتبحث عن «فارس» و«مريم» في كل مكان..

قائد فرقة الأطباق الطائرة:

- سيدي لم نعثر إلّا على جثة الطيار.

دهار:

- الويل لهما لقد تمكنا من الفرار.. ابحثوا عنهما في كل مكان..

.. يستمرون في البحث بالأجهزة المتطورة إلا أن الشمس تبدأ بالغروب...

قائد الفرقة:

- سيدي يبدو أنهما يختبئان في مكان قريب.

دهار:

- استمروا في البحث، لا ترجعوا إلّا برأسيهما.

قائد الفرقة:

- سيدي الظلام يسدل ستاره والمنطقة مليئة بالذئاب.

دهار:

- قلت لك استمروا في البحث.

قائد الفرقة:

- سيدي الأمر جد خطير قد تهاجمنا الذئاب، أقترح العودة أثناء النهار.

دهار:

- الويل لكم إن لم تأتوني برأسيهما.

قائد الفرقة:

- سنبحث عنهما حتى نجدهما.

في مركز القيادة يأمر «دهار» بتشغيل الخريطة الإلكترونية. . .

مساعده:

- إنهما هنا في هذه المنطقة الصحراوية، وتحديدًا في موقع سقوط الطبق الطائر.

دهار:

- لن يستطيعا الاختباء طويلًا، أما أن تفترسهما الذئاب أو يقتلهما جنودنا.

مساعده:

- لكن ثمة احتمال ثالث.

دهار:

- احتمال ثالث!! ما هو؟

مساعده:

- انظر سيدي في الخريطة، إنها منطقة صحراوية ولكنها قريبة من قرى يقطنها قوم من الجن، وهم كما تعلمون ليسوا من الشياطين ومصنفين كفئة أقل ولاءً للدولة وهنا يأتي احتمال بأن يعثر عليهم أحد القرويين ويخفيهما.

أحد الحضور:

- أيفعلون ذلك؟

دهار:

- قد يفعلون.. فشيخ هذه القرى معروف عنه تعاطفه مع الغرباء.

مساعده:

- وماذا نفعل؟

دهار:

- مُر قائد الفرقة المطاردة أن يراقب الأجواء في الصحراء طوال الليل، واطلب من أحد ألوية الجيش أن يتواجد على مداخل القرى والطرق الجبلية، وأن يسيّر دوريات جوية فوق الجبال.

أما أنت فعليك بتشكيل قيادة خاصة بتفتيش القرى ومداهمتها واربطها بي شخصيًّا.

مساعده:

- سأفعل ذلك فورًا، هكذا سنعثر عليهما إن آجلًا أو عاجلًا.

دهار:

- بالتأكيد لن يعيينا رأس هذا الإنسي.

❊ ❊ ❊

(في القرية الكبرى)

القروي:

- أين الشيخ؟

كبير الخدم:

- إنه يصلي.

القروي:

- سأنتظره.

يفرغ من صلاته ويأتي إليه..

شيخ القرى:

- ما بالك؟

القروي:

- معي رجل وامرأة من الإنس.

شيخ القرى:

- من الإنس، يبدو بأنك مشتبه، فالإنس لا يستطيعون القدوم إلى هنا.

القروي:

- ولكنها الحقيقة.

شيخ القرى:

- يا للعجب، ربما يكونان من عبيد معسكر الجبل وحالفهما الحظ وتمكنا من الهرب، احضرهما لأنظر في شأنهما.

يأتي بهما وهما مُغمى عليهما..

شيخ القرى:

- إنهما من الإنس حقًّا، يبدو لي أنهما هاربان ولهما قصة مثيرة.

ينادي على كبير الخدم:

- أدخلهما إلى المخبأ السري ولا تنس تشغيل جهاز ضبط الترددات.

- لماذا؟

- نفذ ما أقوله لك.

- أمرك سيدي.

يخرج شيخ القرى إلى فناء منزله.. يشاهد الأطباق الطائرة من بعيد..

- إنهم يبحثون عنهما دون شك وسيأتون إلى هنا في الغد دون ريب..

يسمع عواء الذئاب...

- في بعض الأحيان يكون لهذه الذئاب منافع تفوق طبيعتها المتوحشة، مشكلتنا دائمًا أننا ننظر دائمًا إلى الجانب المظلم... يا ابني آدم وحواء اهنآ هذه الليلة بالراحة والأمان أما الغد فقد تكون بداية البداية أو نهاية النهاية.

الحلقة السادسة

عين الطاووس

تشرق الشمس ليهلّ صباح جديد... شيخ القرى يستلقي على أريكته منتظرًا انتهاء الخدم من تجهيز طعام الإفطار، إلّا أن فرقة من الجنود تباغته..

- أنعمت صباحًا يا شيخ القرى.

- (ببرود): أهلًا بكم منذ زمن لم يأتنا أحد من «إبليسيا».

يقترب منه رئيس الجند ويجلس بمحاذاته....

- وأنا كذلك من منذ زمن لم آت إلى هذه المنطقة.

يبدأ بتناول طعام إفطاره..

- حسبت أنكم نسيتمونا.

- بل أنت من نسيتنا، لِمَ لا تأتي إلى «إبليسيا»؟

- يا بني أنا شيخ هرم كما ترى لا أقوى على تحمّل مشاق الأسفار.

- لديك خدمك وحشمك، على الأقل ابعثهم في الأعياد والمناسبات.

- المشاغل لا تنتهي، ولكني أعدك بأن أحاول.

- لم تحضر عيد الخروج ولا عيد النزول ولم تبعث حتى بممثل عن القرى في احتفالات قصر «الهراهر»، يبدو أنك نسيت أن القرى جزء من مملكة ملك الملوك «أبي مرة».

- كلا لم أنس ولكنني لم أعد شابًا كما ترى.

- ما زالت هذه القرى كما هي لم يتغير فيها شيء.

- «إبليسيا» لم تعد سخية كما في السابق، الأموال التي تصلنا منها لا تغطي إلّا القليل من النفقات.

- هذا بسببك، عليك مراجعة الحكومة وطرح مطالبك.

- كلا لا أريد أن أحمّل الحكومة مشاغل منطقة جبلية نائية كمنطقتنا.

يترجل رئيس الجند ويتجول في حديقة البيت..

ينتهي شيخ القرى من تناول طعامه... يمسك بعكازه ويتجه إليه.. ينظر كل منهما في عيني الآخر.

- ما وراءكم؟ لا بد أنكم جئتم لأمر مهم.

- أنت تعرف ما نبحث عنه.

- وما أدراني؟

- أحقًا! شيخ كبير مثلك يدير خمس قرى لا يعرف ما يدور حوله؟

- وما أدراني إن لم يخبرني أحد.

- ألا تعرف أن شرطة العاصمة تبحث عن إنسيين فارين؟.

- وكيف لي أن أعرف؟

- حسنًا، إننا هنا للبحث عنهما وقتلهما حال العثور عليهما، لذلك لا بدّ من تفتيش كافة منازل القرى وسوف تجوب الأطباق الطائرة أجواءها حتى تحقيق هذا الهدف.

- أنتم تمثلون السلطة وليس لدينا أي مانع من ذلك.

- ولكني أقول بأنك إن كنت قد عثرت عليهما فسلمنا إياهما بدلًا من حدوث قلاقل ومتاعب جميعنا في غنى عنها.

يبتسم في وجهه...

- ولِمَ أخفيهما عنكم يا ترى؟ إنهما مجرد إنسيين وليسا من معاشر الجن لأتعصب لهما.

- لقد بحثنا عنهما في محيط القرى ولم نعثر لهما على أي أثر، ولا يوجد سوى احتمال واحد أن يكونوا عندك.

- قد تكون الذئاب كفتكم مهمة قتلهما.

- لو حدث هذا لوجدنا رفاتهما على الأقل.

- دونكم بيوت القرى الخمس ففتشوهم فإن وجدتموهما فلك أن تعتقلني أو حتى تقتلني معهما.

- لقد أمرت بما أمرت به يا شيخ لذا فأنا أحذرك من مغبة نصرهما لأنك بذلك ستتهم بالخيانة العظمى.

- قبلت بذلك فافعل ما أمرت به..

- للمرة الأخيرة سلمني المطلوبين إن كانا عندك.

- وأنا أجيبك للمرة الأخيرة أيضًا ليسا عندي ولا أعرف لهما طريقًا.

يستشيط غضبًا.... يأمر جنوده بالتفتيش عنهما في كل مكان من بيت شيخ القرى، ويأمر بإنزال قوات كبيرة لتفتيش كافة بيوت ومنازل ومزارع القرى الخمس، وقوات أخرى لمحاصرتها... بعد عدة ساعات من البحث المتواصل لا يتمكنون من العثور على أي أثر لـ «فارس» و«مريم»...

أحد الجنود:

- سيدي لم نعثر لهما على أثر.

ينظر إلى شيخ القرى بغضب بالغ...

- حسنًا فلننسحب ولكن لتبقى المفارز والسيطرات في جبال ومحيط القرى ولتستمر الأطباق الطائرة في التحليق.

- أمرك سيدي.

ما أن يبدؤوا بالانسحاب وسط نظرات شيخ القرى الشامتة حتى يأمرهم رئيسهم بالتوقف، ثم يتجه إلى شيخ القرى...

- أين السرداب يا شيخ؟

يجيبه بكل ثقة..

- إنه في الجهة اليمنى.

- نسينا تفتيش السراديب.

- هذا شأنكم.

- فتشوا سراديب كافة المنازل وأولها منزل شيخ القرى.

يبدأ الجنود بتفتيش السراديب وتشغيل أجهزة رصد الترددات. . .

- الويل للإنس ومن يساندهم! أين اختفيا؟.

- سيدي لا أثر لهما.

- اللعنة عليهما.

يأمر بسحب الجند من منزل شيخ القرى. . .

- استمع إليّ يا شيخ جيدًا، عيوننا ترصدكم طوال الوقت، إن اتضح أن أحدًا من قومك له يد في إخفائهما فسوف نعدمه حرقًا أمام الجميع وإن كان أنت،أتدرك هذا؟

يهز رأسه إيماءً بالمعرفة.

يستشيط غضبًا ويغادر. . .

يسترخي شيخ القرى في فناء منزله برفقة كبير خدمه. . .

شيخ القرى:

- إن الجنود لم ينتهوا بعد من تفتيش سراديب بقية منازل القرى، والأطباق الطائرة لا تزال تجوب السماء.

كبير الخدم:

- إنهم لا ييأسون من البحث، لديهم حق، الغريبان لا أثر لهما وليس هناك من أمل لهما بالنجاة إلا باللجوء إلينا.

ينظر له شيخ القرى بابتسامة. . .

- مُر حرسنا بالانتباه، لا أريد للجنود أن يداهمونا إلا ونحن مستعدون لهم.

- سأفعل.

* * *

في المخبأ السري كان «فارس» و«مريم» لا يزالا نائمين... يستيقظ «فارس» أولًا..

- يا إلهي ما هذا المكان؟ أين نحن؟

يوقظ «مريم»...

- «مريم» استيقظي.

تستيقظ بصعوبة..

- «فارس» أين نحن؟

- لا أعرف، ولكن يبدو أننا بأمان، انظري ماء وفاكهة..

يأكلان ويشربان فيستردان جزءًا من حيويتهما..

مريم:

- «فارس» أتذكر ذلك الرجل الغريب الشكل الذي ألقى علينا ذلك الرذاذ؟

فارس:

- أتذكر حينها تعبنا ولم نعد نقدر على الحراك.

مريم:

- في تلك اللحظة اعتقدت أنها نهايتنا.

فارس:

- وأنا كذلك، لقد تيقنت أنه أحد الجنود، ولكن الآن الأمر مختلف، لا شك أننا وقعنا عند أشخاص آخرين.

مريم:

- أظن ذلك.

يفتح المخبأ السري.. ترتمي «مريم» في أحضان «فارس».. يدخل شيخ القرى:

- أهلًا بكما.

ينظر إليه «فارس» بتأمل..

- ما لك لا ترد علي أيها الإنسي؟ هل هذه هي آدابكم.

- العفو منك، ولكن لساني عقد من المفاجأة.

- لا بأس عليكما، أنتما بأمان الآن ولكن سيتعين عليكما البقاء هنا لعدة أيام حتى يقل عدد الجنود.

- من أنت أيها الشيخ وأين نحن؟

- أنتم في القرى الشرقية على بعد ألفي كيلو من «إبليسيا».

- هل أنتم إنس أم جن؟

- نحن من الجن، الإنس لا يسكنون في هذه الديار.

- ولكنكم لستم شياطين.

- الجن أجناس وأعراق كالإنس، ارتح الآن وغدا سآتي لأتحدث معكما.

* * *

بينما «فارس» و«مريم» في أمانهما كان رئيس الجند يتعرض لتوبيخ شديد من قبل «دهار» حاكم «إبليسيا».

- كيف لم تجدهما؟ هل يعقل هذا؟

- سيدي أظنهما ماتا والتهمتهما الذئاب.

- وما الدليل على ذلك؟

- حتى الآن لا تتوافر لدينا أدلة واضحة، ولكننا بحثنا عنهما طويلًا ولم نعثر لهما على أثر.

- ربما شيخ القرى أو أحد سكانها يخبئهما في مكان ما.

- لقد فتشنا في كل مكان، واستخدمنا أجهزة رصد الترددات.

- راقب منزل شيخ القرى وكافة المقربين منه، واستمر في مراقبة المنطقة بشدة، ثمة احتمال كبير أنهما هناك، لن أقر بهلاكهما إلا بعد تمحيص وبحث شديدين.

- أمرك سيدي.

* * *

في اليوم التالي يزور شيخ القرى «فارس» و«مريم»:

- كيف حالكما أيها الإنسيين؟

فارس:

- بخير يا سيدي الشيخ.

- سأخرجكما من هنا على شرط ألا تبارحا المنزل قط، وألا تغادراه حتى لفنائه لئلا ترصدكما عيون الجند.

فارس:

- أمرك يا شيخ.

يخرج «فارس» و«مريم» من المخبأ السري ويذهب بهما الخدم إلى غرفة الضيافة، حيث يحتفي بهما شيخ القرى مع أبنائه وجمع من خدمه..

شيخ القرى:

- استريحا.

اسمك «فارس» واسمها «مريم» أليس كذلك؟

فارس:

- نعم سيدي، ولكن كيف عرفت؟

شيخ القرى:

- من الخدم الذين وكلوا بحراستكما.

- من أي البلاد أنتما؟

فارس:

- نحن من العرب.

شيخ القرى:

- من أجمل البلاد وأروعها، في شبابي كنت أسافر كثيرًا إلى القاهرة ودمشق وبغداد وطنجة.

مريم:

- ياه! لم أكن أتوقع أن أسمع مثل هذا الكلام من قبل.

شيخ القرى:

- بلاد العرب يا ابنتي لها آثار بالغة على حياة الإنس والجن على حدٍّ سواء.

يقدم الخدم أنواع الطعام والشراب...

شيخ القرى:

- كلوا واشربوا بالشفاء والعافية.

يتناول الجميع طعام الضيافة...

فارس:

- لا أجد فرقًا بين طعامنا وطعامكم، وحياتكم قريبة جدًا من حياتنا ورغم ذلك لا نستطيع رؤيتكم من داخل عالمنا؟

يضحك شيخ القرى ويضحك معه الحضور من أبنائه وخدمه...

شيخ القرى:

- تلك قصة طويلة يا بني.

فارس:

- أرجوك أخبرني.

شيخ القرى:

- قل لي هل ترى الهواء؟

فارس:

- كلا.

شيخ القرى:

- ولكنك تشعر به.

فارس:

- بالطبع.

شيخ القرى:

- هل ترى تلك الكائنات الدقيقة التي تسبب لك الأمراض؟

فارس:

- لا.

شيخ القرى:

- ولكنك تعترف بوجودها.

فارس

- بالتأكيد.

شيخ القرى:

- كل كائن حي أو غير حي على هذه الأرض بل وفي الكون يهتز وكل اهتزاز له تردد معين، أجسادنا نحن الجن أسرع اهتزازًا منكم أنتم البشر لدرجة لا تمكن حواسكم من رصدنا.

فارس:

- صحيح كلامك يا شيخ.

شيخ القرى:

- وثمة أمر آخر فإن أجسادنا التي هي أقل كثافة وأكثر خفة منكم

تمتص إشعاعات لا ترونها من الأساس ولا تعيد إطلاقها، وهذا سبب آخر لعدم تمكنكم من رؤيتنا.

مريم موجهة كلامها لفارس:

- لا شك أنه يقصد الأشعة تحت الحمراء.

فارس:

- بالتأكيد لأنها مع عدد آخر من أنواع الضوء لا يمكننا رؤيته إلا بأجهزة دقيقة.

مريم:

- ولكننا الآن نراكم بهيئة كاملة ووضوح تام وكل شيء في عالمكم نتعامل معه على أنه مادي صلب تمامًا.

شيخ القرى:

- ذلك أن حواسكما يا بنيتي أصبحت متوافقة تمامًا مع اهتزازات أجسادنا وكل ما حولها.

فارس:

- سبحان من خلق الإنس والجن.

شيخ القرى:

- نحن هنا يا بني مسلمون موحدون لا نقر لـ «أبي مرة» سوى بالملك والسلطان.

فارس:

- هل يسيء إليكم؟.

شيخ القرى:

- إنه يعلم بأننا موحدون ولا نعتقد به، إلا أنه لا يؤذينا لأنه يستفيد منا في تزويد المدن بالفاكهة والخضراوات واللحوم، لذلك فإنه يغض الطرف عنا، خاصة وأننا لا نجاهر بتوحيدنا.

فارس:

- حالكم يشابه العديد من البشر في عالمنا.

شيخ القرى:

- بالضبط إذ لا فرق كبير بين حياة الإنس والجن، فكلاهما يعيشان على هذه الأرض نفسها وبظروف متشابهة، لذلك وصف الله تبارك وتعالى الجن والإنس بالثقلين، لأنهما مثقلان بالعقل والإرادة والتكليف والعبادة.

يأمر شيخ القرى بأن ينضم «فارس» إلى أبنائه من الذكور و«مريم» إلى بناته، وأن لا يسمح لهما بالخروج من مركز البيت مهما كانت الأسباب.

* * *

تدخل «مريم» غرفة بنات الشيخ فتراها شبيهة بغرف بنات عالم الإنس... أسرّة مزركشة، وفرش ملونة، وألوان براقة للملابس، ولعب جميلة...

مريم:

- غرفتكن جميلة جدًا.

البنت الكبرى ميساء:

- أسعدتني بإعجابك بغرفتنا، حسبت أنك ستعتبرينها قديمة وبالية.

مريم:

- على العكس إنها لا تقل روعة عن الغرف التي عهدتها في عالمي.

ميساء:

- اسمي «ميساء» وأختي الثانية «ميس» وثالثتنا هي «ريماس» وهذه أصغرنا «رونق».

ريماس:

- هل لديك إخوة في عالمك؟

مريم:

- نعم، عندي أختين.. «أمل» و«منى»، كم أشتاق إليها.

تجلس على السرير وتبكي...

رونق:

- لا تبكي يا «مريم» جميعنا أخواتك.

يجتمعن حولها...

ميساء:

- أنت هنا معنا ولن نتخلى عنك.

مريم:

- شكرًا لكن، كم أشعر بالسعادة وأنا بينكن.

ريماس:

- «مريم» هل تحبين «فارس»؟

تبتسم وتعرض بوجهها عنهم استحياء...

ريماس:

- تحبينه إذن!

ميس:

- كيف تزوجتما؟

مريم (بابتسامة مشرقة):

- تلك قصة طويلة.

ميس:

- نتمنى أن تعودا إلى بلادكما في أقرب وقت، فالشياطين عازمون على إنهاء حياتكما.

مريم:

- أتمنى ذلك من أعماق قلبي ولكن كيف؟.

ميساء:

- لا تقلقي أبي سيتدبر أمركما.

مريم:

- حقًّا؟!

ميساء:

- أبي لديه الكثير من الطرق والحيل ولن يتخلى عنكما.

* * *

يقضي «فارس» و«مريم» عدة أيام مرحة وهادئة في بيت شيخ القرى...

«شداد» الابن الأول لشيخ القرى:

- قل لي يا «فارس» ماذا كنت تعمل قبل مجيئك إلى مملكة «أبي مرة»؟

فارس:

- كنت أعمل مهندسًا زراعيًا.

شداد:

- بمعنى؟

فارس:

- إنها إحدى الوظائف في عالمنا وتختص برعاية كل ما يتعلق بالزراعة ويرتبط بها.

شداد:

- رائع.

«وثاب» الابن الثاني:

- في «إبليسيا» والمدن الكبرى الكثير من الأعمال المشابهة، أظنك زرت «إبليسيا».

فارس:

- رأيتها فوجدت أنها لا تختلف عن أية مدينة من مدن عالم الإنس.

شداد:

- أظن أن أغلب الإنس لا يزالون يعتقدون بأننا نركب الجياد ونستخدم السيوف ونعيش في الكهوف.

فارس (بضحك):

- كلامك صحيح تمامًا، أنا شخصيًّا كنت أعتقد أنكم كائنات غير متطورة، وأن عالمكم بعيد عن الحضارة، وأن الحياة فيها عودة إلى القرون الوسطى في عالمنا.

يدخل شيخ القرى فيقفون له احترامًا...

- اجلسوا.. اجلسوا.

عماذا كنتم تتحدثون؟

وثاب:

- عن الاختلاف بين عالم الإنس والجن

شيخ القرى:

- إيه، كل من الإنس والجن يعتقد أنه أفضل من الآخر وأنه أكثر علمًا وتقدمًا.

فارس:

- أنا في الحقيقة لم أكن أتوقع أنكم بهذا التقدم.

شيخ القرى:

- يا بني، كل من الجن والإنس يعيشان على هذه الأرض، وكلاهما ركب الله سبحانه وتعالى فيه من العقل والإرادة والنزعات والشهوات ما يؤهله لينهل من العلم ويسعى أن يكون الأفضل، هذا التنافس والتدافع بين أمم الإنس والجن طبيعي جدًّا بل هو مفيد لاستمرار زخم الحياة، ومن فضل الله عليكم معاشر الإنس بأن أخفانا نحن الجن عن أعينكم وأسماعكم.

- لماذا يا شيخ؟ الكثير من البشر يتمنى لو له علاقات مع أشخاص من الجن، بل ويطمحون إلى إقامة علاقات راسخة بين العالمين لتبادل المنافع والمصالح مثلما هو الحال بين أمم وشعوب الإنس.

- كلا يا بني، ليس هذه من الحكمة في شيء.

- لماذا؟

- يا بني لو أنك تسمع خطوات النملة لعانيت عناءً رهيبًا، ولو أنك شاهدت آلافًا من الكائنات الدقيقة في طعامك وشرابك لما هنئت بأكل أو شرب، ولو أنك تمكنت من رؤية ملايين الكائنات التي تملأ جسدك وتسبح في الفراغ ليلًا ونهارًا لملئت منها رعبًا ولتحولت حياتك إلى جحيم لا يطاق ولقتلت نفسك من حينك.

- ولكني أتحدث عن العلاقة بين الثقلين الجن والإنس.

- وكذلك الجن يا بني، فطرائق حياتهم ونظم معايشهم إن

اختلطت مع الإنس اختلت نواميسكم وقوانينكم ومعايشكم، لا سيما وأنهم يفوقونكم عددًا، وإن لسماعهم ورؤيتهم كما ترون بعضكم من المضار الرهيبة والأخطار العاتية ما يحولها إلى أعظم هول من الجحيم، فكيف ستتعاملون مع آلاف يمشون في طرقكم ويعيشون في بيوتكم؟، كيف لك مثلًا أن تهنأ بنوم وأنت ترى الجن وتسمعهم؟ كيف ستسير في الشارع بمركبتك وأنت ترى المخلوقات الجنية تمشي وتطير ليلًا ونهارًا؟

فالجن والإنس لا يجب أن يعيشا بانفتاح تام فيما بينهما، لا بدّ أن يكون لكل منهما عالمه، فكلا الجن والإنس في حياتهما من الأعمال والوظائف والأحوال ما لا يجب أن ينكشف على بعضه لتناقضها وتضارب مصالح القائمين عليها، انظر إلى السباع والجوارح والبهائم والطيور في الغابات، كل منها يعيش حياة منفصلة عن الآخر وإن كانوا يعيشون في المكان نفسه ولكن بينهما تبادل منافع لا انفتاح شامل.

ثم إن الإنس والجن بينهما من التنافر ما يكفي لدخولهما في صراعات لا تنتهي، فلو تمكن الإنس من رؤية معالم الحضارة الجنية لوقعت بينهما الحروب التي لا تنتهي.

وقد وضع الله سبحانه وتعالى في الكون من انفصال العوالم ومحدودية حواس أهلها وسعتها بما يحفظها، فلعل هناك كائنات لا نعلم عنها أي شيء تأتي إلى الأرض فلا ترى أحدًا فيها وتعتبرها

كوكبًا لا حياة فيه، ولعلنا نرى كواكب بعيدة عنا بمراصدنا فلا نرى فيها حياة إلا أنها قد لا تكون كذلك.

انظر إلى جسدك. . إنه عالم قائم بذاته، فالملايين من الكائنات تعيش فيه وقد لا تعلم هذه الكائنات أنها تعيش على جسد كائن حي اسمه الإنسان، الذي لا يشعر هو الآخر بوجودها على الإطلاق.

إلّا أن حكمة الله سبحانه وتعالى قد اقتضت أن يكون بين العوالم وسكانها تبادلٌ للمنافع واتصالٌ متعدد الأوجه والطرق، فقد أوجد سبحانه وتعالى بوابات للدخول والخروج، أرأيت يا بني بيتي هذا؟ تصور لو أنه مفتوح على بعضه وليس مقسمًا إلى غرف وأدوار تصل بينها هذه الأبواب والسلالم ما الذي كان سيحدث؟

فارس:

- ياه! الفوضى العاتية!

شيخ القرى:

- تمامًا، لعمري إن هذا هو زبدة الخطاب وكفايته، فالإنس والجن يمكن لكل منهما الدخول لعالم الآخر لشتى الأغراض والأعمال والمهام من دون أن يكون ذلك مدعاة لانفتاح شامل بينهما، وهذا هو نمط العلاقة بين عالم الدنيا وعالم البرزخ، حيث الإنس والجن الذين رحلوا عن الحياة الدنيا بما تحويه من عوالم!، ونمط العلاقة أيضًا بين عالم الملكوت الأعلى وعوالم نجهلها

ولكنها موجودة في السماوات السبع بما تضمه من كواكب ومخلوقات لا نعرفها ولا ندرك كنهها.

فارس:

- بارك الله فيك يا شيخ وزادك من علمه.

شيخ القرى:

- منذ مئات السنوات يا بني كنت أحضر دروسًا عامرة بالعلم والمعرفة والحكمة في بلاد الإنس وقد استفدت منها كثيرًا جدًا.

فارس:

- ومن دون أن يراك أحد؟

يضحك شيخ القرى ويضحك معه الجميع..

فجأة تضاء مصابيح الخطر...

أحد الخدم:

- سيدي إنهم الجنود.

شيخ القرى:

- خذ «فارس» و«مريم» إلى المخبأ السري.

- أمرك سيدي.

- ولا تنس تشغيل أجهزة ضبط الترددات.

- في الحال.

يدخل الجنود وهم مدججون بالأسلحة...

يحييهم شيخ القرى. .

- أهلًا بكم!

يتقدم رئيس الجند بوجه مكفهر ويجلس على الأرض إلى جانب شيخ القرى. . .

رئيس الجند:

- يبدو بأنكم كنتم مجتمعين؟.

شيخ القرى:

- كنا نتسامر قليلًا.

- تسامر الليل في الفناء أفضل بكثير من الداخل.

- لا شك في ذلك، فمن هذا الذي لا يرغب بالجلوس وسط الهواء العليل وفوقه النجوم الساطعة.؟.

يأتي أحد الجنود ويتحدث مع رئيسه في أذنه. . ينظر رئيس الجند إلى شيخ القرى بخبث ثم يمسك بتفاحة ويتناولها بصمت. . .

- ما أخبار «فارس» و«مريم» يا شيخ؟

يضطرب قليلًا. . .

- ليس في أبنائي وخدمي ما ذكرت.

- أحقًّا؟!

- هذه أسماء يتسمى بها البشر عادة.

- ياه! ما أروعك يا شيخ، برغم كبر سنك إلا أنك لا تزال تحتفظ بثقافة عالية.

- هذا من بركات مولانا ملك الملوك «أبي مرة» المعظم.

- وماذا كان من مولانا المعظم؟!

- عندما كنت شابًّا صغيرًا جاء بي والدي إلى حضرة مولانا المعظم الذي مسح على وجهي بالماء المبارك، ومنذ ذلك الحين وذاكرتي قوية وتركيزي تام حتى يومنا هذا برغم أن عمري تجاوز الألفي عام.

- وهذا ما جعلك تبقى في منصبك طوال هذه السنوات؟

- هذا أيضًا من فضل مولانا المعظم.

- ولكن أخبرني يا شيخ لماذا تشغلون أجهزة ضبط الترددات؟

ينظر أبناؤه وخدامه إلى بعضهم البعض بقلق..

بينما يستأنف رئيس الجند أكل التفاحة...

- لم تقل لي لماذا؟

- يبدو أن أحد خدمي شغلها بالخطأ، ففي بعض الأحيان يشغلون كل أجهزة المنزل دفعة واحدة.

- لا أعتقد أنكم بحاجة إليها، سواء في منزلك أو في بقية أنحاء القرى فليس بينكم غرباء.

- (بإنهاك) طبعًا لديك كل الحق، لقد زودنا بها الجيش منذ مائة عام ولم نستفد منها.

- سأطلب من قيادة الجيش سحبها من كافة أنحاء القرى.

- افعل ذلك لا حاجة لنا بها.

- ولكن الآن أغلقها فورًا.

- (باضطراب) سأفعل، أطفئوا كافة أجهزة ضبط الترددات ولا تشغلوها مرة أخرى.

يذهب جندي مع أحد الخدم ليشرف على إغلاقها...

- سيدي تمت المهمة.

- جيد، أعيدوا البحث مرة أخرى في كافة أنحاء القرى علنا نجد كائنات أخرى دخيلة على عالمنا!! أليس كذلك يا شيخ؟

يلوذ شيخ القرى بالصمت بينما يبدأ الجنود بالبحث في كل مكان..

(بعد عدة ساعات)

- سيدي لم نجدهما.

ينظر إلى شيخ القرى بحقد...بينما يشعر الشيخ وأبناؤه بالراحة..

شيخ القرى:

- هل أحضر لك قدحًا من الشراب لتريح به أعصابك؟!

يقف بحنق..

- لا أريد شيئًا.

ثم يوجه خطابه إلى الجنود..

- هيا انسحبوا فورًا.

ثم ينظر إلى شيخ القرى بغضب...

- سنعود لأخذ كافة الأجهزة التي سلمها لكم الجيش، وسنعاود التفتيش كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

شيخ القرى:

- افعل ما تؤمر به، فنحن لا نخفي شيئًا.

يخرج من منزل الشيخ غاضبًا محاطًا بجنوده... يسترخي شيخ القرى ومن معه من أبنائه وخدامه..

شيخ القرى:

- إلهي كيف لم يكتشفوا أمرهما؟

يسارع شيخ القرى وأبناؤه للاطمئنان على «فارس» و«مريم»... فيشاهدون معهما أحد الخدم

وثاب:

- حمدًا لله على سلامتكما.

ميساء:

- يا للعجب كيف نجوتما ونجونا معكما؟!

الخادم:

- في المخبأ السري جهاز احتياطي لضبط الترددات، وقد شغلته على سبيل الحيطة.

شيخ القرى:

- هذا من فضل الله ورحمته علينا جميعًا، كان من المفترض في حال إغلاق الجهاز أن يكتشفوا وجودكما بيننا فورًا لأن ترددات

جسديكما مختلفة عنا ولكن أمر الله أقوى من كل أمر، استريحا هنا وفي الليل سيأتي بكما أحد الخدم لأتحدث معكما في أمر هام.

فارس:

- أمرك يا شيخ.

❊ ❊ ❊

في الليل يقبل «فارس» و«مريم» على شيخ القرى الذي كان ينتظرهما في القاعة بصحبة «ميساء» و«شداد»، القاعة خالية وأنوارها باهتة والهدوء يعم أرجاءها...

يجلسان بقربه والقلق بادئ على محياهما.

شيخ القرى:

- اسمعا أيها الإنسيان، من الواضح أن وجودكما هنا فيه خطر كبير، وإن لم يقبضوا عليكما اليوم فقد يقبضون عليكما في أي وقت، وإن حدث ذلك فسوف تعدمان فورًا، وسيكون مصيرنا كمصيركما.

فارس- أعلم هذا يا شيخ، نحن لا نريد أن نتسبّب في هلاككم لذا فقد عزمنا على الرحيل وإن كان في ذلك موتنا المحقق.

يضحك شيخ القرى..

- البشر هم البشر في كل زمان ومكان، لا يتغيرون أبدًا!! عجولين بطبعهم!!، وهذا الاستعجال سبّب لهم الكثير من المآسي منذ الأزل.

اسمع يا بني وأنتِ يا بنيتي، أنتما محاصران تمامًا فإن ذهبتما إلى الصحراء أكلتكما الذئاب أو قتلكما الجنود الذين يسيرون دوريات بالأطباق الطائرة طوال الوقت، وإن ذهبتما باتجاه الجبال ستواجهان سيطرات الجيش التي ستقتلكما فور العثور عليكما أيضًا، وإن ظللتم هنا فإن احتمال القبض عليكما يزداد يومًا بعد يوم وسوف تقتلان ويقتل معكما من يؤويكما إن طال الزمن أو قصر.

مريم:

- فما الحيلة يا شيخ؟.

فارس:

- لا أرى أملًا لنا بالخلاص.

يقف شيخ القرى ممسكًا بعكازه فيقفان معه..

- ثمة أمل وحيد لكما، أمل واحد لا غير.

(فارس- مريم):

- ما هو؟.

- عين الطاووس!

(فارس- مريم):

- عين الطاووس!!

يجلس شيخ القرى فيجلسان معه...

شيخ القرى:

- «عين الطاووس» هي أشبه بالمدرسة الكبيرة عندكم، فيها

يتعلم الجن والشياطين العلم والحكمة في مختلف الأصول والفروع، إنه مكان مهول، لا سلطان لأحد عليه إلا سلطان العلم والحكمة.

فارس:

- وماذا نفعل هناك؟

شيخ القرى:

- إن نجحتما في استخدام عقليكما وتمكنت الحكمة من تبوء المكانة الرفيعة في نفسيكما، وذلك بعد تغلبكما على المصاعب المريرة التي سوف تواجهانها هناك، حينئذ سوف تستطيعان الوصول إلى شاطئ «القنع»، ومنه ستتمكنان من مغادرة مملكة «أبي مرة» وتعودان إلى عالم الإنس.

مريم:

- نعود إلى عالمنا؟!

شيخ القرى:

- نعم يا ابنتي ولكن «عين الطاووس» ليست مكانًا عاديًّا، إنها مليئة بالأسرار والمكائد والمصاعب الجمة فإن فشلتما ستكون نهايتكما.

فارس:

- كيف؟

فارس:

- ستعود يا «فارس» إلى معسكر «الجبل» وهناك سيتم إعدامك على الأرجح، أما أنتِ يا «مريم» فستعودين إلى الشيطان الذي جاء بك إلى عالم الشياطين.

مريم:

- يا للهول!.

شيخ القرى:

- بالرغم من ذلك فإنه لا أمل لكما إلّا «عين الطاووس»، إنها الأمل الوحيد.

فارس:

- وكيف نصل إليها؟

شيخ القرى:

- تفتح بوابتها عند اكتمال البدر في الليلة الرابعة عشرة من كل شهر قمري، وهذا يعني أنها سوف تفتح بعد خمسة أيام من اليوم.

فارس:

- ألن يعترضنا الجنود داخلها؟

شيخ القرى:

- لن يعترضكما أحد، هناك لا سلطان إلّا سلطان العلم والحكمة.

مريم:

- ألا يوجد مخرج آخر؟

شيخ القرى:

- لا طريق آخر ولا حل آخر إلّا «عين الطاووس».

ينظر «فارس» و«مريم» إلى بعضهما البعض. . . .

فارس:

- «مريم» ما رأيك؟

مريم:

- أنا معك يا «فارس»، لقد عاهدتك بأن أكون معك، وعاهدت نفسي بألّا أعود للاستعباد أبدًا مهما حدث وإني لأفضّل الموت على حياة العبودية.

يوجه «فارس» خطابه إلى شيخ القرى:

- حسنًا يا شيخ لن نسمح للشياطين بأن يستعبدونا أبدًا، لذا سنذهب إلى «عين الطاووس»، فإما أن نغنم حريتنا وإما أن نموت في سبيلها.

- بارك الله فيكما، تذكرا أن الوصول للغاية البعيدة والأمل الكبير يبدأ دائمًا وأبدًا بخطوات صغيرة، وأن نجاتكما من الشر لن يتحقق إلا بالعلم والحكمة.

* * *

يأمر شيخ القرى بأن يبقى «فارس» و«مريم» في المخبأ السري خوفًا من اكتشاف أمرهما ويضع عليهما أحد خدمه لحراستهما. .

فارس:

- يا ترى كيف هي «عين الطاووس»؟

مريم:

- إنني خائفة مما يواجهنا بداخلها؟

فارس:

- إنها أملنا الوحيد يا عزيزتي.

يتوجه فارس إلى الخادم:

- هل تعرف شيئًا عن «عين الطاووس»؟

- إنها يا سيدي مكان رهيب، موحش، كل شيء فيها يعتمد على حدسك وفطنتك.

- أخفتني!

- أعرف خمسة أشخاص ذهبوا إليها قبل عشر سنوات ولم يعودوا.

- يا إلهي!

- سمعت أن ثلاثة منهم احترقوا، أما الاثنان الآخران فأصبحا رقيقين، وهما الآن يخدمان في أحد القصور الملكية.

يخبر «فارس» «مريم» بما سمعه من الخادم فتجهش بالبكاء... يحتضنها «فارس»..

- لا تبكي يا حبيبتي، أنا متأكد من أننا سنخرج منها سالمين.

- ادعوا الله أن يسدد خطانا ويحمينا من الشر فلسنا سوى طالبين للحرية والكرامة وهاربين من الذل والاستعباد.

* * *

في ضحى اليوم الثالث عشر يستدعيهما «شيخ القرى». . . يفدان عليه وقد اصطف أبناؤه لوداعهما . .

فارس:

- هل حانت ساعة المغادرة؟

شيخ القرى:

- نعم يا «فارس»، لا بدّ لكما الآن من الذهاب إلى «عين الطاووس».

يعانق «فارس» أبناء الشيخ وتعانق «مريم» بناته . .

شداد:

- «فارس» إذا ما تمكنت من العودة إلى الوطن لا تنسانا .

فارس:

- كيف أنساكم؟ ستظلون في ذاكرتي ما حييت .

ريماس:

- «مريم» إذا عُدت وأنجبت فتاة فإني أقسم عليك بالذي جمعنا أن تسميها باسم إحدانا .

مريم (بدموع منهمرة):

- لا حاجة لأن تقسمي، لن أنساكن أبدًا وسوف تكونن في قلبي سواء كنت حية أو ميتة، فالقلب لا يموت وإن مات الجسد الذي يضمه .

ميساء:

- لا تقولي هذا يا «مريم»، نحن متأكدون من أنكما ستتمكنان من العودة إلى دياركما.

تبكي «مريم» وبنات شيخ القرى، اللاتي يسارعن إلى الالتفاف حولها...

تسلّم «مريم» على «شيخ القرى» ويعانقه «فارس»...

شيخ القرى:

- هيا يا أبنائي، المركبة جاهزة للانطلاق.

يمضي «فارس» و«مريم» في رحلتهما، إلا أن «شيخ القرى» يوقفهما قائلًا..

- سيأتي يوم تشرق فيه شمس الحرية على ربوع هذه الأرض.

يبتسم «فارس» و«مريم» بدموع منهمرة ويمضيان في سبيلهما...

* * *

تسير بهما المركبة في الطريق إلى «عين الطاووس»، يمران على أول نقطة تفتيش فيتجاوزانها بسهولة.. يستمران في السير حتى مفترق طريق جبلي ترابط به نقطة تفتيش أخرى..

- قف مكانك..

يقترب الجندي من السائق...

- إلى أين تتجه؟.

- إلى «عين الطاووس».

- وماذا تحمل معك؟

- أمتعة لبعض الطلاب المرابطين أمام البوابة.

- يجب التأكد مما تقوله، افتح مركبتك فورًا..

ينفذ السائق أمره ليبدأ الجندي بتفتيشها بدقة بينما يقف السائق ببرود..

جندي آخر:

- هل وجدت شيئًا؟.

- كلا لم أجد.

- دعه يذهب.

- ليس قبل أن أفتشه بالأشعة وجهاز كشف الترددات.

يحضر الجهازين ويبدأ بتفتيش السيارة ولكنه يفشل في العثور على ما يسعى إليه..

- هيا اذهب إلى شأنك.

تستأنف المركبة سيرها نحو «عين الطاووس».. يبدأ الطريق بأخذ الطابع الجبلي حتى الوصول إلى نقطة البداية.. يفتح السائق المخبأ السري ليخرج منه «فارس» و«مريم»..

فارس:

- ياه! كدت أتجمد في مكاني بعد أن قام بالتفتيش بواسطة الأشعة.

السائق:

- المخبأ مصمم بحيث لا يمكن للأجهزة التي يستخدمونها اختراقه.

مريم:

- الحمد لله لقد شعرت بأن كل شيء قد انتهى في تلك اللحظة.

السائق:

- اسمعاني جيدًا، هذه النقطة هي بداية الطريق، من هنا لا أحد له شأن بكما، إذ لا سلطة للحكومة هنا، استمرا في المشي حتى البوابة.

يعانق السائق «فارس» ويسلّم على «مريم» ويمضي إلى شأنه..

فارس:

- هل أنت مستعدة يا عزيزتي؟.

مريم:

- بالتأكيد.

يسيران مع عشرات المشاة من الجن والشياطين الذين يزداد عددهم كلما توغلوا في الطريق..

مريم:

- «فارس»، لقد تعبت.

فارس

- فلنواصل لم يبق إلّا القليل.

يصبح الازدحام كثيفًا، جموع غفيرة تتجه نحو البوابة... بعد أكثر من أربع ساعات من المشي الذي تتخلله وقفات واستراحات يصل «فارس» و«مريم» إلى مقرّ البوابة.. مساحة ضخمة من الأرض

المستوية أمام جبل شاهق وبوابة صخرية عملاقة. . .يفترشان بساطهما ويتناولان الفواكه والمياه. .

مريم:

- يا لهذه الأعداد الهائلة، أكلهم يقصدون «عين الطاووس»؟

فارس:

- أتعلمين يا مريم، رغم كون هؤلاء الشياطين أعداءنا إّلا أني أحيي فيهم روح التحدي والسعي نحو التعلم، إنهم يدركون مخاطر «عين الطاووس» ورغم ذلك يسعون لدخولها.

* * *

قبل منتصف الليل يسمع الجميع طبول قوية فيقومون زرافات ليبدؤوا بالاصطفاف. . .

مريم:

- أنقف معهم؟.

فارس:

- بالتأكيد.

بوابة حديدية ضخمة تخرج من تحت الأرض لتغلق الطريق بينما يقف بمحاذاتها بصمت مطبق مئات الأشخاص من الجن والشياطين من الذين وصلوا متأخرين. . .

فارس:

- يبدو بأنهم لن يسمحوا لأحد بالدخول.

يقف «فارس» و«مريم» في الصفوف الطويلة، في منتصف الليل يشاهد الجميع ضوء القمر وهو ينعكس على البوابة ليتوهج منها نورًا مبهرًا ينير الظلام، ثم يسمعون صوت البوابة وهي تفتح بسرعة كبيرة... ما أن يكتمل فتحها حتى تبدأ الجموع بالدخول التدريجي إلى «عين الطاووس».

مريم:

- «فارس»!

فارس:

- لا تخافي يا عزيزتي كوني شجاعة..

يدخل «فارس» و«مريم» «عين الطاووس»... يشاهدان مغارة ضخمة هائلة الاتساع تعج بالطرق والدهاليز.. الجن والشياطين يمشون ذاهبين غادين في مختلف الاتجاهات..

مريم:

- ماذا نفعل الآن؟ أنسأل أحدًا؟

فارس:

- كلا علينا ألا نخالطهم.

يعاينان الطرق فيشاهدان طريقًا تدخله وتخرج منه الجن والشياطين بكثرة...

فارس:

- فلنذهب في هذا الطريق.

مريم:

- أخشى أن يكون طريقًا خاطئًا بالنسبة لنا.

فارس:

- أظنها المحطة الأولى وإلّا ما قصدتها كل هذه الحشود.

يسيران فيه، كلما توغلا كلما زادت الحشود، بعد برهة من الزمن يصلان إلى كهف هائل الاتساع مليء بأشخاص متحلقين حول أناس غريبي الشكل..

مجموعة من العرافين يفترشون الأرض من دون أبسطة وتحت أيديهم أطباق من الجمر، والبخور يتدفق منها دون انقطاع...

عراف:

- أنتما تعالا إلي، اقبلا علي سأرشدكما إلى الطريق الصحيح.

يبتعدان عنه والخوف يملأ قلبيهما..يمران على عراف آخر:

- تعالا، تعالا، قفا مع هؤلاء حتى يأتي دوركما، هيا قبل فوات الأوان.

يبتعدان عنه..يمشيان بحذر والبخور يعم المكان وسط تلاوات العزائم والأقسام والدعوات التي لا نهاية لها.. يمران على عراف جالس بمفرده:

- أنتما، اقبلا علي، لا أمل لكما إلا أن تأتياني وبقلبكما تسمعاني.

يقتربان منه بحذر...

العراف:

- اجلسا بارك الله فيكما وعليكما.

يجلسان بقربه بقلق شديد..

العراف:

- أيتها الأرواح الهائمة، يا خدام النار والماء والتراب والهواء، أخبراني عن هذين وإلى أين؟.

ينبعث البخور من الطبق بشدة ليتنفسه بنهم...

العراف:

- أشكركم.. أشكركم.. أشكركم.

أنتما من البشر. صحيح؟.

مريم:

- صحيح!

العراف:

- الرجل «فارس» والمرأة «مريم». صحيح؟.

فارس:

- صحيح.

ثم يضع المزيد من البخور ويتنفسه بعمق...

العراف:

- بحق رب سليمان وموسى وإله عيسى ومحمد أخبروني عنهما وإلى أين هما؟

يضع المزيد من الجمر ليزداد البخور انبعاثًا.

العراف:

- أجيبوني بحق زبور داوود وتوراة موسى وإنجيل عيسى وقرآن محمد.

يزداد البخور كثافة وانبعاثًا.. يتنفسه بعمق حتى يكاد يغمى عليه، ثم تسكن حركاته ليلتفت إليهما..

العراف:

- أنتما هاربان من عدوّ لدود، وترومان الوصول إلى دياركما حيث يعيش البشر.

فارس:

- نعم ما تقوله صحيح.

العراف:

- وعدوّكما هو الحارث.

مريم:

- كلا ليس هذا اسمه.

ينبعث البخور بشدة من الطبق...

العراف:

- لا تغضبوا أيها الكرام، تعلمون أنها من أبناء آدم، وقد خلقوا من العجل، أرجوكم لا تغضبوا منها.

تهدأ ثورة البخور...

العراف:

- أنت يا امرأة لا تتعجلي في الإجابة، العجلة سترديك سريعًا إلى المصير الذي تسعين إلى الفرار منه.

يمسك «فارس» بـ «مريم»..

فارس:

- إني أعتذر نيابة عنها وعني.

العراف:

- لا تعتذران لي بل للأرواح الكريمة.

فارس:

- نعتذر لها ولن نكرر ذلك أبدًا.

العراف:

- حسنًا لقد قبلت الأرواح اعتذاركما.

ثم يلتفت إلى «مريم»..

- الحارث هو أحد أسماء «عزازيل»، ويقال إن له أسماء أخرى عندما كان في عالم الملكوت الأعلى، منها العابد والزاهد والعارف والتقي والخازن، وعندما قال لا في وجه من قالوا نعم سمي «إبليس» وكني «بأبي مرة».

يتطلع كل من «فارس» و«مريم» في وجه بعضها البعض بتعجب...

فارس:

- صدقت إنه هو عدوّنا.

العراف:

- جنوده يطاردونكما في كل مكان، رؤوسكما مطلوبة منه شخصيًّا، وقد كلف ابنه الأكبر «دهار» حاكم «إبليسيا» بالقبض عليكما.

مريم:

- وهل يعرف أننا هنا؟

العراف:

- بالطبع.

مريم:

- ولماذا لا يرسل جنوده للقبض علينا؟

العراف:

- كلا لا يستطيع ولو كان قادرًا على ذلك لفعل.

فارس:

- لماذا أو ليس هو الحاكم المطلق في هذه المملكة؟

العراف (بغضب):

- لم يُخلق بعد من يخترق ناموس «عين الطاووس».

فارس:

- كيف؟

العراف:

- «عين الطاووس» منذ أزل الأزل وإلى أبد الأبد لا سلطة لأحد عليها غير سلطة العلم والحكمة.

مريم:

- وإن كان «أبو مرة»؟

العراف:

- يسري هذا القانون الأزلي على كل الجن والإنس في هذا العالم وفي مقدمتهم ملك الملوك «أبو مرة».

مريم:

- وما السرُّ في ذلك؟

العراف:

- هذه المملكة كبرى ممالك الجن والشياطين، «عين الطاووس» تزودها منذ قدم القدم بقادة تتلمذوا فيها وتعرضوا لشتى أنواع الامتحانات العسيرة حتى يتمكنوا من قيادة المملكة وتبوء كبرى المناصب فيها، وهذا هو سرُّ ديمومة هذه المملكة طوال آلاف السنوات، لا تعتقدوا أن سرَّ دوامها يكمن في قوة الملك «أبي مرة» فقط، بل إن الفضل الأكبر في استمرارها يعود إلى «عين الطاووس» بما تنتجه من علم وحكمة، يشكلان عماد حضارتها ودعامة قوتها.

فارس:

- العلم والحكمة من المفترض أن يدفع بكم إلى الإيمان بالله خالق الكون ورب العوالم.

العراف:

- ومن قال لك أننا لا نؤمن به؟ كل من ينهل من العلم والحكمة يدرك إدراكًا يقينًا بأن الله تبارك وتعالى هو خالق كل المخلوقات وموجدها من العدم، الرب الواحد الأحد على مرِّ الزمان وإلى أبد الآبدين.

فارس:

- ولكن. . .

العراف:

- أعرف ما ستقول، لم تجد الإيمان بالله في مملكة «أبي مرة»، ولكن كبار الكهنة والروحانيين يعتقدون به في قلوبهم وعقولهم، وكذلك أتباعهم ومريديهم، وما ينكره إلّا العوام.

مريم:

- ونحن هل ينطبق علينا أيضًا قانون «عين الطاووس»؟

العراف:

- لا شك في ذلك.

مريم:

- وماذا علينا أن نفعل؟.

العراف:

- أنتما تسعيان للخروج من «عين الطاووس» لتصلا إلى شاطئ «القنع» ومنه تبحران إلى بلادكما وعالمكما وهذا لن يتحقق لكما إلّا

إذا جعلتما العلم نهرًا في قلبيكما والحكمة بحرًا في عقليكما فإن لم تنجحا . . . . . .

فارس:

- ماذا؟ . .

يغمض عينيه ويتنفس البخور بعمق. . . . ثم ينظر إليهما . .

العراف:

- ستجدان نفسيكما وقد عدتما إلى ما كنتما عليه، أنت في معسكر الجبل وأنتِ مع الشيطان الذي جلبك إلى هنا، وسوف تعيشان بعد ذلك حياة عبودية رهيبة فتتمنيان الموت فلا تجدانه.

مريم:

- يا إلهي!

العراف:

- وبعد ذلك يشترط عليكما أن تنفذا الموت في نفسيكما إن كنتما لا ترغبان الاستمرار في حياة العبودية.

تبكي «مريم» بينما يتمالك «فارس» نفسه . .

العراف:

- هذا هو حكم «أبي مرة» عليكما، إنه ينتظر فشلكما بفارغ الصبر حتى يقبض عليكما جنوده لتذهبا إلى مصيركما الذي رسمه لكما.

مريم:

- أرجوك ساعدنا.

العراف:

- لا أستطيع، لقد تعبت من الحديث معكما، ذبذبات جسديكما جلبت لي الإرهاق السريع، هيا انفضا عني، واسلكا ذاك الطريق، إنه بداية سفركما إما لنيل الحرية أو العودة للاستعباد.

ينبعث البخور بكثافة من الطبق.. لا يستطيعان احتماله فيذهبان عنه.. يمشيان باتجاه الطريق الذي أرشدهما إليه.

مريم:

- ماذا نفعل الآن؟.

فارس:

- ليس لنا خيار سوى أن نسلك هذا الطريق.

مريم:

- فلنفعل إذن.

فارس:

- أمستعدة أنتِ؟.

مريم:

- كل الاستعداد.

فارس:

- هلمي إذن.

يبدآن بالسير في الطريق المجهول المحفوف بالمخاطر...

* * *

في الظلام الدامس يقف «أبو مرة» في مركز قلعة «حبب»، إحدى قلاع قصر «الهراهر»، في مواجهة ابنه «دهار» حاكم «إبليسيا». . . تشتعل النيران لتصبح حلقة تحيط بهما. . شعلة ضخمة من النار تخرج فجأة في وسط الحلقة ثم تتوارى. .

الملك «أبو مرة» - لماذا لم تقبض عليهما حتى الآن؟

دهار:

- يا أبتي بحثنا عنهما في كل مكان ولم نعثر لهما على أثر.

الملك «أبو مرة»:

- هل تعلم بأنهما حيّان؟

دهار:

- أين هما؟

الملك «أبو مرة»:

- هكذا بكل سهولة تريد أن تعرف.

ينزل رأسه إلى الأرض. .

الملك «أبو مرة»:

- ارفع رأسك فأنت سليل «أبي مرة» ملك الملوك.

دهار:

- أفتخر بذلك يا أبي.

الملك «أبو مرة»:

- إنهما في «عين الطاووس».

دهار:

- مستحيل!

الملك «أبو مرة»:

- إنهما يكافحان للوصول إلى شاطئ «القنع» حتى يتمكنا من الفرار.

دهار:

- لا شك أن شيخ القرى هو من آواهما ودلهما على «عين الطاووس»، سأبعث له بسرية تقتله.

الملك «أبو مرة»:

- دعك منه.

دهار:

- لماذا يا أبي؟ لقد ساعد الإنسيين.

الملك «أبو مرة»:

- هو قام بأداء واجبه فمتى تقوم أنت بواجبك؟

دهار:

- أبي أنا طوع بنانك أأمرني.

الملك «أبو مرة»:

- آمرك؟!

دهار:

- روحي فدا أوامر سيدي ومولاي «أبي مرة» المعظم.

الملك «أبو مرة»:

- إذن اذهب إلى «عين الطاووس» واضرب عنقهما وائتني برأسيهما.

دهار:

- «عين الطاووس»!!

يعقد لسانه عن الكلام...

الملك «أبو مرة»:

- ما بالك صمت؟ أجبني هل ستذهب إلى «عين الطاووس» وتأتيني برأسيهما؟.

دهار:

- أبي إن أمرتني فسوف أفعل.

الملك «أبو مرة»:

- حقًّا! هل ستذهب إلى ذلك المكان المظلم المخيف؟.

يصمت في انهزام وتداعٍ...

ينهار ويرتمي نحو رجليه ويقبّلهما إلا أنه يمسك به ويرفعه إلى الأعلى بغضب...

الملك «أبو مرة»:

- هناك في «عين الطاووس» لا مكان للقوة والسلطة التي تمتلكها، لن يعمل لك الآلاف من الجن والشياطين أي حساب،

فالسلطة المطلقة للعلم والحكمة فقط وفقط، وستغدو كأي شيطان آخر ولن يكون لك وزن إلا بقدر علمك وحكمتك.

الخوف بادٍ على محياه..

الملك «أبو مرة»:

- أجبني! هل تستطيع التخلي عن سلطاتك وتغدو كأي شيطان عادي في ذلك المكان الرهيب؟

دهار:

- أبي إنك تحملني مسؤولية جسيمة.

الملك «أبو مرة»:

- فأي قوة تمتلكها إذن؟ وكيف أستطيع هزيمة البشر والسيطرة على الأرض وقادة دولتي لا يمتلكون القوة الكافية الشافية في عقولهم وأرواحهم؟

إن قوة الجيوش ليست سوى مظهر من مظاهر القوة الراسخة العميقة المتمثلة في العلم والحكمة بكل ما تضمه من أصول وفروع لا نهاية لها، وهذا ما نفتقده في دولتنا رغم ما حققته من إنجازات تفوق دول أعدائنا البشر، لذلك لم نستطع حتى الآن بلوغ غايتنا رغم مرور آلاف السنوات التي لا تعد ولا تحصى من وجودنا على الأرض وصراعنا معهم.

فقائد بحجم الابن الأكبر لملك الملوك وحاكم درة مدن مملكته وقائدًا عامًّا لجيشه الماحق والحاكم على مئات الملوك وملايين

الشياطين والجن في مختلف أنحاء المعمورة يعجز أن يكون بمفرده في «عين الطاووس»! لا يصبر على البقاء من دون سلطة لعدة أيام! لا يتحمل أن يتساوى مع غيره وأن يكون كغيره من الشياطين! لا يستطيع استخدام قدراته لتسيير شؤون نفسه والتغلب على ما سيواجهه في «عين الطاووس».

دهار:

- أبي أنا مستعد لقتل نفسي فداء لك.

الملك «أبو مرة» (بغضب):

- الويل لكم جميعًا! الموت عندكم أسهل من الحياة! اذهب وفكر فيما قلته لك، من الواضح أنك لا تزال بحاجة لتعلم الكثير.

دهار:

- أرشدني يا أبي.

يسكن غضب «أبي مرة» فيخاطب ابنه «دهار» بهدوء قائلًا:

- اعلم يا بني بأن العلم معين لا ينضب، فإن ظننت أنك قد علمت فقد جهلت، وإن ظننت أنك الأقوى فقد هنت وضعفت، وإن ظننت نفسك حكيمًا فهذا دليل على تهاوي عقلك، عليك دائمًا وأبدًا أن تظن نفسك جاهلًا لتتعلم أكثر، وضعيفًا لتزداد قوة، وضئيل عقلٍ لتسري فيك الحكمة كسريان الدم في العروق.

دهار:

- زدني يا ينبوع الحكمة.

الملك «أبو مرة»:

– عليك أن تكون دائمًا مجرد طالب علم وساعيًا نحو الحكمة طوال عمرك.

أتدرك ما أقوله لك يا سيد «إبليسيا» المبجل؟

دهار:

– سأعمل يا أبي بمضامين تعاليمك السامية، وستكون لي ولمن معي نبراسًا أبديًّا خالدًا يتسامى على الموت والفناء، ولكن ماذا بشأن الإنسيين؟

الملك «أبو مرة»:

– لا علاقة لك بهما بعد اليوم.

دهار:

– ماذا؟

الملك «أبو مرة»:

– انصرف لشأنك واعرض عنهما.

دهار:

– ولكن يا أبي.

الملك «أبو مرة»:

– قلت لك اعرض عنهما، اسحب قواتك من القرى ولا تمس شيخها بسوء واصمت عن هذا الأمر.

دهار:

- ولكن ماذا ستفعل بهما؟

الملك «أبو مرة»:

- ستعرف في الوقت المناسب.

دهار:

- أمرك يا أبي.

* * *

يستمر «فارس» و«مريم» في سفرهما في «عين الطاووس» في طريق ضيق متعرج. . .

مريم:

- هذا الطريق الملتوي الضيق يشبه أمعاء جسد الإنسان!!!

فارس:

- هاهاها، فعلًا إنه كذلك.

مريم:

- انظر قاربنا منطقة واسعة.

مسافة قصيرة ويجدا نفسيهما بعدها في مكان واسع كأنه استراحة للمسافرين. . .

يتفقدان بدورهما المكان فيلمحان شخصًا يجر عربة فوقها صندوق. . . . يقف ويفتح الصندوق ويجلس على كرسيه صامتًا. .

فارس:

- فلنذهب إليه.

يقتربان منه فيقوم من كرسيه . .

- أهلًا بكما ، كل شيء من لذيذ الطعام وبارد الماء ودافئه عندي .

ينظر «فارس» و«مريم» إليه باستغراب . . .

فارس :

- هل لديك ماء بارد؟

- تفضل هذه قارورة ماء بارد .

تأخذ «مريم» «فارس» على انفراد .

- «فارس» علينا أن نكون حذرين .

- إنها مجرد قارورة ماء .

- ولو .

- إنه ماء فأيّ خداع في الماء؟ .

يشتري «فارس» قارورة الماء البارد . .

مريم :

- حسنًا ، واعطني أنا قارورة الماء الدافئة .

- تفضلي سيدتي .

يجلسان على الأرض بعد أن يفترشا بساطهما . . يحاول «فارس» فتح القارورة فيتدفق الماء المغلي منها فيقذفها بعيدًا على الفور بعد ملامسته جلده . . . . تنتزع مريم قطعة قماش وتداوي بها مكان إصابته . .

فارس :

- يا إلهي إنه ماء نار .

مريم :

- كاد يصيبك إصابة بالغة .

- يا ألطاف الله!

- قلت لك يا عزيزي تروّى في الأمر .

- وأنت ماذا عن قارورتك؟ .

تمسك بها «مريم» وتفتحها بحذر شديد فتجده ماءً باردًا . .

مريم :

- إنه ماءٌ بارد .

- الويل لهذا البائع أين هو؟ .

يبحثان عنه إلا أنه كان قد اختفى . . .

مريم :

- لا بدّ أنه شيطان .

فارس :

- لا شك في ذلك .

يشربان الماء ويأكلان من ثمار بعض الأشجار ثم يستأنفان مسيرهما . . .

يصلان إلى منطقة استراحة أخرى في أقصاها الأيسر نهر جارٍ . . .

مريم:

- هنا سننام، ما رأيك؟

فارس:

- أفضل مكان للنوم..

يخرجان البساط وفراشهما المتنقل... ينام «فارس» على الفور إلا أن «مريم» تتقلب على مخدعها بالرغم من إنهاكها الشديد...

فجأة تسمع صوت امرأة تعرفها....

- مريم حبيبتي أخيرًا التقينا.

تنهض من فراشها...

- من أنت؟

- اقتربي مني يا مريم.

- أين أنت؟

- اتجهي نحو الشمال بمحاذاة النهر.

تترك «فارس» نائمًا وتذهب متلهفة على صاحبة الصوت... تهرول مسرعة فتشاهد على الجانب الآخر للنهر والدتها..

- مستحيل!!

- مريم ابنتي الغالية أخيرًا رأيتك.

تدمع عيونها..

- لا تبكِ يا صغيرتي أخيرًا التقينا، تعالي إليّ لأحضنك.

- كيف أصل إليك؟.

- هذا النهر ليس بعميق... تعالي.

تنظر «مريم» إلى النهر فتجده ضحلًا... تضع يدها في المياه فتراها دافئة. بينما تنظر إلى وجه أمها الباسم بقلق وتعجب وريبة..

- تعالي يا ابنتي تعالي.

تخطو أولى خطواتها في النهر إلا أنها تتراجع..

- كلا أنتِ لست أمي.

- أنا أمكِ يا ابنتي، لقد خطفني الجن مثلما خطفك أنت ذلك الشيطان، وقد تمكنت من التحرر منهم، هيا تعالي لتعودي إلى أبيك وأخواتك.

- حقًّا؟.

- بالتأكيد يا حبيبتي.

- و«فارس»؟

- سنأخذه معنا.

تبكي بشدة..

- أنتِ لست أمي.

- بل أنا أمك التي تحبك.

- أقسمي لي بالله بأنك هي.

- لا تجادلي كثيرًا يا صغيرتي إن لم تأتي إليّ الآن سنفقد بعضنا إلى الأبد.

- (ببكاء) لِمَ لا تأتين أنت إلي؟

- لا أستطيع يا حبيبتي، الجن الذين يحرسونني لا يستطيعون تجاوز النهر.

- ببكاء أنت أمي حقًّا؟

- بحق التراب الذي خلقت منه أنا أمك التي أرضعتكِ وربيتك، أنا أمك التي تحبك من أعماق قلبها، تعالي يا حبيبتي إلى حضن أمك الذي يفتقدك.

تلوح لها بكلتا يديها... لا تستطيع المقاومة فتعبر النهر...

- كلا يا مريم عودي.

تلتفت وراءها فترى «فارس»...

- لا إنها ليست أمك، إنها شيطانة لئيمة.

- لا عليك منه بل هو الشيطان، أقبلي علي قبل فوات الأوان.

- مريم إنها مجرد سراب وأنا الحقيقة.

تلتفت مرة إلى والدتها ومرة إلى «فارس»، كلاهما يناديها...

- مريم إنه شيطان جاء ليحرمك مني.

- مريم عودي إلى صوابك إنه مجرد وهم.

دموعها تنهمر بغزارة..تبكي بكاء المفجوع الحائر...

تتخذ قرارها الحاسم فتعود أدراجها لترتمي في أحضان «فارس»...

تضحك المرأة ضحكة مرعبة.... تنظر لهما بمكر وخبث ثم تغرب عنهما وهي لا تزال تضحك...بينما تستمر «مريم» في بكائها

المرير. . .يأخذها «فارس» إلى مكانهما لتشرب الماء وترتاح من عنائها الرهيب. .

فارس:

- هل هدأت أعصابك الآن؟.

مريم:

- نعم.

فارس:

- لقد كانت تجربة قاسية.

مريم:

- يا لهول هذا المكان، إنه عبارة عن هلوسات مميتة.

فارس:

- إلا أن الحقيقة تفرض نفسها، استمعي إلى خرير الماء، إنه حقيقة جميلة، أليس كللك؟

ترتمي في حضنه. . .

مريم:

- كدت أفقدك يا حبيبي.

فارس:

- بل أنا الذي كدت أضيعكِ يا توأم الروح.

يعزفان برهة عن الكلام. . . ثم يلتفت «فارس» إلى «مريم» قائلًا:

- مريم علينا أن نكون حذرين أكثر من ذي قبل فالمكائد في هذا المكان ليست سهلة بل إنها لا تعرف الرحمة.

- لن أخشى شيئًا ما دمت معي.

يتلمس شعرها ويجفف بقية دموعها حتى تغفو عينيها.. يستلقي بجانبها لينام هو الآخر بعد موقف كاد يفقد فيه «مريم» إلى الأبد..

* * *

بعد أكثر من يوم من الاستراحة بالقرب من النهر يعاودان مسيرهما في «عين الطاووس»، في طريق لا يعرفان نهايته وإلى أين يأخذهما...

مريم:

- إننا نسير منذ أكثر من خمس ساعات ولم نصل إلى أي هدف.

فارس:

- تصبري يا عزيزتي.

يتسع الطريق شيئًا فشيئًا حتى يصلان إلى أرض براح... يستلقيان لالتقاط الأنفاس..

مريم:

- ماذا سنفعل الآن؟

فارس:

- علينا مواصلة المسير.

فجأة تهب عليهما رياح عاتية... يتمسكان ببعضهما البعض..

إلا أن الرياح تفرقهما وترمي كل واحد منهما بعيدًا عن الآخر فيفقدان الوعي. . .

* * *

يفتح «فارس» عينيه فيرى نساءً من بعيد. .

- نساء هنا!! يا للعجب!

يقترب منهن بحذر. . فيجدهن سبع نساء نائمات في صورة مريم زوجته. . .

فارس:

- مستحيل!! لا يعقل!!

يحاول الاقتراب من إحداهن فيستيقظن جميعًا. . ينادينه باسمه بصوت جماعي واحد. .

فارس:

- مستحيل، لا يمكن!!

إلّا أن «مريم» من بينهن تشاهد أيضًا «فارس» وقد تحول إلى سبعة أشخاص متشابهين تمامًا. .

فارس:

- من منكن مريم؟

. . كلهن يجاوبنه بصوت واحد:

- أنا هي «مريم»!!

ما أن تتحدث مريم الحقيقية حتى تتحدث كل شبيهاتها. . .

- أنا مريم الحقيقية يا فارس.

ثم توجه «مريم» الحقيقية سؤالها إلى «فارس»:

- أين «فارس» منكم؟

يجيبها «فارس»:

- أنا هو!

إلا أن أشباهه يجيبون معه، ويتحركون معه، ويشاركونه كل حركاته وإشاراته.

مريم:

- مستحيل! لا يعقل ما نحن فيه!!

تبكي فتبكي معها أشباهها، ثم تعاود القول:

- أنا «مريم» يا «فارس».

إلّا أن أشباهها يتحدون بحديثها في الوقت نفسه..

فارس:

- وكيف أعرفك من بين هؤلاء؟

تنظر «مريم» إلى رده وقد رد أشخاصه السبعة في الوقت نفسه...

فارس:

- كيف سأعرفك يا «مريم»؟

يخاطبها «فارس» بأشخاصه الذين معه..

مريم:

- بل كيف سأعرفك يا «فارس» من بينهم؟.

تجيبه مريم بأشخاصها الذين معها..

يقترب «فارس» من إحداهن فيقترب أشخاصه من بقية أشخاص «مريم»...

يعاود السؤال إلا أن أشخاصه تسأل معه في الوقت نفسه:

- من منكم «مريم»؟

فتجيبه «مريم» مع أشباهها بلسان واحد:

- أنا مريم.

يجلس من فرط الإنهاك فيجلس معه نظائره، وتجلس «مريم» فتجلس معها نظائرها...

فارس:

- كيف لي أن أعرف «مريم» من بينهن؟ يا إلهي أعني على هذا البلاء.

يسود الصمت أرجاء المكان. كلما يمشي «فارس» و«مريم» تمشي معهما أشباههما..

فارس:

- إنني محاصر من هؤلاء ولا تستطيع «مريم» معرفتي، وهي كذلك محاصرة من بين هؤلاء ولا أستطيع معرفتها.

مريم:

- ويلي! كيف الخلاص من هذه الحيلة الرهيبة؟.

يحاول «فارس» التحدث مع أشباهه إلا أنهم لا يجيبونه وتحاول «مريم» التحدث مع أشباهها فلا يجبنها.

فارس:

- إننا في ورطة كبيرة وإن لم نتخلص منها فسوف نموت هنا بكل تأكيد، عليّ أن أجد حيلة للخلاص وإلا قبرنا هنا أو أمسك بنا جنود «أبي مرة».

- كيف سأعرف «مريم» من بين أشباهها وكيف ستعرفني هي من بين أشباهي؟.

يتقدم من «مريم» ويتحدث معها مرة أخرى.

- مريم.

فتجيبه مريم مع شبيهاتها بلسان واحد:

- نعم يا عزيزي.

- الويل أي منكم «مريم»؟

(مريم ونظيراتها):

- أنا هي «مريم» صدقني أنا هي.

(فارس وأشباهه):

- وكيف أعرف أنك «مريم»؟

(مريم وأشباهها):

- بل كيف أعرف أنك «فارس»؟ أنت لست واحدًا بل نسخًا عدة.

فارس:

- أنتم أيها الملاعين ابتعدوا عني.

يخاطبهم «فارس» فيتحدثون بنفس قوله..

- الويل لكم!!

فيقول نظائره نفس مقولته..

يمشي فيمشون، يجلس فيجلسون معه، يذهبون أينما ذهب.. بينما تجهش «مريم» بالبكاء فتبكي أشباهها معها...

فارس:

- لا جدوى من المحاولة، علينا استئناف سيرنا وإن كان هؤلاء معنا.

يحمل أمتعته إلا أنهم يحملون أمتعة تطابق أمتعته.

- هيا يا «مريم» نستكمل مسيرتنا وإن كنا لا نعرف بعضنا البعض.

يتحدث معها إلا أنها تشاهد سبعة أشخاص بصورة فارس يخاطبونها..

تجيبه بلسانها ولسان أشباهها..

- إنني أكاد أجن، لا أستطيع مواصلة السفر وهؤلاء معي، اذهب أنت إن أردت!!

(فارس مع أشباهه):

- «مريم» أنا «فارس» وإن كان هؤلاء معي؟

(مريم مع أشباهها):

وأنا «مريم» وإن كن هؤلاء معي ولكني أريدك أنت.

(فارس مع أشباهه):

- وأنا أيضًا أريدك أنت.

لا تستطيع «مريم» الاستمرار.. تستلقي على الأرض فيستلقي أشباهها معها. تبكي بكاءً مريرًا فيبكين معها.. لا يستطيع «فارس» التحمل فيبتعد عنها بصحبة أشباهه..

فارس:

- ماذا أفعل؟ هل أقتل أشباهها، هذا ما يريده «أبو مرة»، أن أقتل إحداهن فيبدأ أشباهي بقتل أشباهها لتموت «مريم» الحقيقية.

وإن بدأت بقتل أحد أشباهي فإني بذلك أنتحر، إذ كل شبيه سوف يقتل شبيهه ومن ضمنهم أنا.

- هؤلاء يشبهونني في كل شيء، إلا أن هناك شيئًا لا يشبهونني فيه، إنه قلبي.

يناديها:

- «مريم» أنت من ستعرفينني، اقتربي مني ستعرفينني من دفء قلبي، تعالي واسمعي دقاته..

يقترب منها مع أشباهه.. تستحسن «مريم» الفكرة فتبدأ بتحسس قلوب أشباه «فارس» وكذا يفعل أشباهها..

«مريم» الحقيقية كلما وضعت أذنها في صدر أحدهم لم تسمع

دقات قلب ولم تشعر بدفء فتتركه لتذهب إلى غيره حتى تضع أذنها في صدر «فارس» فتسمع دقات قلبه وتشعر بدفء صدره..

- أنتَ «فارس».

- أنتِ «مريم».

- أحقًّا هذا أنت «فارس» زوجي؟.

- بل أحقًّا هذه أنت «مريم» زوجتي وصاحبتي؟.

تختفي أشباه كليهما..

فارس:

- لقد اختفوا ولم يعد لهم أي أثر.

مريم:

- يا إلهي لقد انتهت هذه المأساة الرهيبة.

يرتميان في أحضان بعضهما، ثم يستأنفان سفرهما الطويل في «عين الطاووس»...

* * *

يسيران أيامًا متتالية.....

مريم (بانهيار وغضب):

- لقد تعبت يا «فارس»، تعبت وما عدت أحتمل.

فارس:

- حبيبتي علينا بالصبر.

مريم:

- أكثر من عشرة أيام ونحن نسير من دون هدف.

تبكي بشدة، إلّا أن فارسًا يحاول تخفيف معاناتها..

فارس:

- عزيزتي ليس لنا إلا أن نصبر، عليكِ أن تكوني قوية.

مريم:

- لم أعد أطيق أي شيء، ولا أريد تحقيق أي هدف، كل ما أتمناه هو الموت.

فارس:

- إن هذا الكلام هو ما يريد «أبو مرة» سماعه، إن يئسنا فإننا نخسر وإن خسرنا سنعود إلى الاستعباد.

عزيزتي إذا تعبت أو انتابك اليأس فتذكري أيام كنت جارية لدى ذلك الشيطان.

مريم (ببكاء):

سأتجلد بالصبر قدر تمكني.

يستأنفان مسيرهما، يصلان إلى منطقة مفتوحة مرة أخرى بعد سير طويل... يقرران البقاء فيها للراحة والنوم...

بينما هما نائمان إذ بضباب كثيف يعم المنطقة فيستيقظان من جرائه...

فارس:

- يا إلهي إنه ضباب كثيف، بت لا أرى شيئًا..

مريم:

- ضباب في مثل هذا المكان، أمر غريب حقًّا.

يسمعان أصوات أناس كثيرين..

فارس:

- يا للعجب أين نحن؟.

يمسكان ببعضهما البعض... ينقشع الضباب فيغمرهما نور هائل.. يغمضان عينيهما على أثره... يتوارى النور فيجدان نفسيها في حي سكني مليء بالناس...

مريم:

- مستحيل!

فارس

- لا يمكن!.. أتعلمين أين نحن؟

- كلا.

- إنه الحي الذي كنت أعيش فيه في عالمنا.

- لا يمكن أن يحدث هذا.

- وأنا أيضًا أعتقد ذلك ولكن ما نراه الآن يكسر كل أسس اللاممكن.

يمشيان في الحي.. سرعان ما يتحلق الناس حولهما ويسلم العديد منهم على «فارس» مهنئين له بالسلامة...

- اعتقدنا بأنك مت يا «فارس».

. . ينظر إليه «فارس» باستغراب . .

- ألا تذكرني؟ أنا «محمود» جاركم.

- ياه! فعلًا أنت محمود، تذكرتك؟

يعانقه «محمود» بشغف ثم تتوافد عليه مجموعة من شباب الحي مهنئين له بالسلامة . .

تظل «مريم» صامتة متعجبة من كل ما يجري لهما . . . يزفونهما إلى منزل الأسرة . . . يفاجأ والداه وإخوته به . . يستقبلونه بفرح غامر . . يبكي أفراد أسرته بكاءً شديدًا . . . «فارس» و«مريم» لا يكادا يصدقان ما يحدث لهما . . . .

بعد قضاء ليلة حافلة بالعناق والحب والعواطف الجياشة يزف «فارس» ومريم» إلى غرفتهما المؤقتة . . .

الوالدة:

- «فارس» غدًا ستأتي الوفود لزيارتك يا عزيزي من العائلة والأقرباء وأهل الحي.

- سأكون على استعداد يا أمي.

تعاود والدته احتضانه ثم تذهب ودموع اللقاء لا تزال تذرف من مقلتيها . . .

فارس:

- «مريم» هل ما نحن فيه حقيقة أو وهم؟

مريم:

- يكاد عقلي ينفجر، ما يحدث لنا يخالف كل قواعد المنطق، هل تمكنا فعلًا من الخروج من «عين الطاووس» ومغادرة مملكة الشيطان والعودة إلى عالمنا؟

فارس:

- كيف تمكنا من ذلك؟ ومتى حدث؟ أترانا مررنا بأحداث وأهوال ولكننا نسيناها مثلما نسينا وقائع حياتنا عندما جيء بنا إلى مملكة الشيطان؟.

مريم:

- أمور محيرة حقًا.

فارس:

- كل ما جرى لنا خلال الساعات الماضية أمر محير، ألتقي أمي وأبي وإخوتي والناس الذين أعرفهم وأعود إلى مسقط رأسي بهذه السهولة، إنه أمرٌ عجيب.

مريم:

- «فارس» هل لاحظت عليهم أي سلوك مريب؟.

فارس:

- كلا إنهم أهلي بكل تأكيد.

مريم:

- أخشى أن يكون ما نحن فيه لعبة أخرى من ألاعيب أتباع «أبي مرة».

فارس:

- يا للهول! هل يعقل أن قدراتهم تصل إلى أن يكون باستطاعتهم أن يسحروا أعيننا ويجعلوننا نعيش حياة افتراضية محاكية للحقيقة بهذا الإتقان؟

مريم:

- إن لم يكن ما نحن فيه حقيقة فهو وهم متقن.

فارس:

- ربما لا نزال في «عين الطاووس» وكل ما نعيشه في ساعاتنا هذه مجرد أوهام وخيالات؟

مريم:

- ولكن كيف للوهم أن يبلغ منزلة الحقيقة يا عزيزي؟.

فارس:

- سوف أخرج لمعاينة الوضع عن كثب.

مريم:

- لا تدعني بمفردي، أرجوك يا «فارس».

فارس

- حسنًا فلنذهب كلانا.

يخرجان قليلًا.. يتأمل فارس في بيت العائلة من الخارج والأزقة المحيطة به..

فارس:

- إنه الحي نفسه لم يتغير، الصخب في النهار والهدوء في الليل.

مريم:

- إنني تائهة ما بين الحقيقة والوهم.

فارس:

- أنا مثلك ولكن هل يعقل أن لا يكون هؤلاء أهلي؟

يعودان إلى المنزل ويجلسان في الردهة الرئيسية..

فارس:

- انظري كل شيء طبيعي تمامًا، المسي هذه الأريكة، التلفاز، الطاولة، كلها حقيقية.

تدخل عليهما والدة «فارس»..

- ما بالك يا بني لم تنم أنت وزوجتك حتى الآن؟

- حاولنا ولكننا لم نستطع فخرجنا نتنزه قليلًا.

تعاود احتضانه بعيون دامعة...

- أمي كفكفي دموعك، لقد انتهت أيام الفراق ولن تعود أبدًا إن شاء الله..

إلّا أنها تصرخ صراخًا عاتيًا فـ «فارس» تحول إلى جسد شفاف أمامها....

تفرُّ منهما وهي لا تزال تصرخ صراخًا رهيبًا.. يستيقظ كل من في البيت.. يشاهدون «فارس» و«مريم» وهما مجرد شبحين....

البكاء والصراخ يملأ أرجاء المنزل.. يبدأ والد «فارس» بتلاوة آيات من القرآن الكريم.. سرعان ما يتبخر «فارس» و«مريم» في الهواء ويختفيان عن أنظارهم وسط البكاء والصراخ المشوب بالخوف والذهول...

❊ ❊ ❊

يفتح «فارس» و«مريم» عينيهما فيجدان نفسيهما في «عين الطاووس».. ينظران في وجه بعضهما البعض بتعجب شديد.. سرعان ما يرتميان في حضن بعضهما ثم يبكيان بكاءً مرًّا...

مريم:

- هل كنا نحلم؟

فارس:

- لا يمكن أن يكون حلمًا.

مريم:

- لقد عدنا إلى الحقيقة المرة بعد أن استمتعنا بساعات في عالمنا وظننا أننا تخلصنا من مأساتنا.

فارس:

- لا بدّ من وجود تفسير لما حدث، إنني متأكد أننا كنا فعلًا في عالم الإنس وعدنا إلى هنا بفعل قوة عاتية.

مريم:

- لا شك أنهم الشياطين من أتباع «أبي مرة».

فارس:

- لا أحد غيرهم بالتأكيد، ولكن علينا امتصاص هذه الصدمة المهولة ومتابعة السفر.

مريم:

- «فارس» إنني منهكة، لم أعد قادرة على المواصلة، إن لم أُقتل فقد أموت هنا.

فارس:

- كلا لا تقولي مثل هذا الكلام، فلتكن روحك أقوى من جسدك، ولتمده بالقوة للوصول إلى تحقيق غايتنا الكبرى في الحرية والانعتاق من سيطرة هؤلاء الأشرار.

* * *

يمشيان عدة أيام حتى يصلان إلى واحة بها مجموعة من الأشجار وبوسطها بحيرة صغيرة يقرران الاستراحة فيها...

يلعبان ويلهوان كطفلين صغيرين ما بين الشجر والماء...

فارس:

- يبدو أن قوتك عادت إليك؟

مريم:

- هذا الماء وهذه الأشجار أعادت لي جزءًا كبير منها.

فارس:

- ما رأيك أن نعيش هنا؟

مريم (بضحك):

- كلا علينا السفر حتى بلوغ حريتنا.

فارس:

- رائع! هذا ما أردته منك.

مريم:

- هكذا إذن تستهزئ بي.. سأريك!!

يعودان إلى لهوهما...

يستلقي «فارس» بينما تذهب «مريم» لغسل بعض الأمتعة عند البحيرة.... تسمع صهيل خيل يقترب منها.. سرعان ما تشاهد رجلًا فخمًا يركب حصانًا أبيض...

- أنتِ أيتها الإنسية، أخيرًا عثرت عليك.

تبتعد عنه

- ما بالك خائفة مني؟..، أنا لن أؤذيكي تحدثي معي فقط، أنت من الإنس أليس كذلك؟

- أصبت فمن أنت؟

- أوه! لم أكن أدرك بأن الإنسيات بهذا الجمال؟!

- (بنبرة غاضبة) قل لي ماذا تريد أو ابتعد عني؟

- حسنًا فقط لا تغضبي، أنت «مريم» أليس كذلك؟.

- (بحزم) من أنت؟.

- أجيبيني أولًا أنت «مريم» زوجة «فارس».. أليس كذلك؟

تنادي «فارس» فيأتيها مسرعًا.. يمسك بها ويبعدها عنه...

- على هونكما هدئا من روعكما ما جئت إلا للتحدث معكما.

فارس:

- من أنت يا هذا؟

- أنا الذوق.

فارس:

- الذوق؟.

- أحد أتباع سيدنا المعظم «أبي مرة».

مريم:

- أنت شيطان؟!

- تستطيعين قول ذلك.

مريم:

- ماذا تريد؟

- لنجلس أولًا ثم نتحدث.

يجلسان معه بحذر...

الذوق:

- يا لهذا المكان الجميل، لو كان بيدي لاتخذته مصيفًا مرة كل عام على الأقل.

ينظران إليه بصمت وريبة.

الذوق:

- ما بالكما ساكتان؟

فارس:

- ننتظر منك قول ما جئت لأجله.

الذوق:

- أوه حسنًا، مثلما قلت لكما أنا «الذوق»، وقد سمعت بقصتكما وعرضت حلًا وسطًا على مولانا ملك الملوك «أبي مرة» المعظم فوافق عليه، وقد بحثت عنكما طويلًا حتى وجدتكما هنا، وقد واجهت مصاعب كثيرة حتى بلغت هذا المكان فأنتما تعرفان ما هي «عين الطاووس».

فارس:

- أي حلٍّ يكون بيننا؟.

الذوق:

- لقد سمعت بشجاعتكما منذ أن خطفتما الطبق الطائر، إن ما فعلتماه ينم عن شجاعة مذهلة وقدرة هائلة، أنتما تستحقان الحياة لا الموت، الحرية لا الاستعباد، والصداقة لا العداوة، لذا فإني أعرض عليكما أمرًا سينهي معاناتكما إلى الأبد.

مريم:

- ما هو؟.

- لحظة واحدة..

يذهب إلى خيله ويأخذ من متاعها قدحين مغلقين بإحكام ويأتي بهما إلى «فارس» و«مريم». . .

- انظرا!

فارس:

- ما هذا؟

الذوق:

- كما ترى، مجرد قدحين، إلّا أنهما يحويان شرابًا عجيبًا، مكونًا من نباتات لا تنمو سوى في مملكة الملك المعظم «أبي مرة»، إذا ما وافقتما أن تصبحا من أتباعه ومواليه فسوف تشربانه وفي غضون أربع وعشرين ساعة سوف أتمكن من إرسالكما إلى عالم الإنس.

فارس:

- ثم ماذا؟

الذوق:

- هناك ستنفذون ما آمركم به أنا شخصيًا، إلا أنكما في المقابل سوف تعيشان بين البشر في غنى ورفاهية بقية عمركما، وإذا ما أنجبتما أطفالًا فسوف يخلفونكما في العهد الأزلي مع الملك «أبي مرة» المعظم. . ما قولكما؟

يعرض «فارس» عن الكلام بينما تطيل «مريم» في القدحين بصمت مطبق. .

فارس:

- ما الفائدة من ذلك؟ أن أكون مواليًا لـ «أبي مرة» بين البشر أو أكون عبدًا له أو لأحد شياطينه داخل مملكته؟ في النهاية أنا مجرد عبد.

الذوق:

- لا تغالي يا «فارس»، هناك الكثير من الإنس يعملون لصالح الملك المعظم، ويعيشون في سعادة وهم متفوقون على كافة أقرانهم من البشر، ويفعلون ما يشاؤون.

فارس:

- أي حرية في أن أكون عبدًا لـ «أبي مرة»؟

الذوق (بغضب):

- وأي حرية تعيشها أنت وزوجتك هنا؟

فارس:

- بل كل الحرية، يكفي بأنني لست عبدًا إلّا لله.

الذوق:

- قريبًا سوف تسقط في زلة كبيرة وسوف تجد نفسك وزوجتك في قبضة الشياطين مرة أخرى وحينها حتى الموت لن تجده سبيلًا للخلاص.

يقوم «فارس» و«مريم» من مكانهما . . .

فارس:

- عرضك مرفوض أيها «الذوق»، ابتعد عنا ودعنا لشأننا.

يلتفت «الذوق» إلى «مريم».

الذوق:

- لم تقولي شيئًا يا «مريم»؟

مريم:

- أنا مع زوجي.

الذوق:

- حسنًا، افعلا ما بدا لكما ولكن تأكدا بأنكما ستقعان في العبودية في أقرب وقت وحينها سأشرف على تعذيبكما بنفسي وسوف تتذكران هذه اللحظات بندم عظيم.

فارس:

- لن يكون أعظم من ندم «أبي مرة» على طرده من عالم الملكوت.

الذوق:

- الويل لك كيف تجرؤ على مثل هذا الكلام؟.

فارس:

- هل ستستخدم قوتك ضدنا ونحن هنا في «عين الطاووس»؟

الذوق:

- في يوم قريب جدًا سوف أعاقبك على كلامك هذا بأشد العقاب لتكون عظة لغيرك من العبيد.

يحمل قدحيه ويمتطي حصانه ويرحل...

مريم:

- «فارس» أنا خائفة.

فارس:

- لا عليك فليفعلوا ما يشاؤون.

مريم:

- من الأفضل أن نغادر هذا المكان بسرعة.

فارس:

- فلنذهب إذن.

* * *

يسيران خمسة أيام، التعب والإرهاق أخذ مأخذه منهما... المياه والفواكه التي يتغذيان عليها بدأت بالتناقص...

مريم:

- «فارس».. لم أعد أستطيع المشي أكثر من ذلك.

فارس:

- تحملي يا عزيزتي.

مريم:

- خمسة أيام في هذا الطريق المتعرج المليء بالحجارة والصخور ولم نصل إلى أي مكان يمكن أن نستريح فيه.

فارس:

- ماذا نفعل؟ ما باليد حيلة.

مريم:

- هكذا سنهلك.

فارس:

- لا تقولي هذا، فلنرتح قليلًا هنا.

مريم:

- أية راحة في مثل هذا الطريق الضيق؟.

فارس:

- لا بدّ من ذلك حتى نحتفظ بطاقتنا.

فجأة يشمان رائحة طعام..

مريم:

- هل نحن نتوهم أم ماذا؟

فارس:

- كلا إنها رائحة طعام شهي.

يشحذان طاقتيهما ويمضيان بأقصى سرعة ليجدا نفسيهما في مكان واسع على جانبه الأيمن مطعم صغير..

فارس:

- يا إلهي إنه مطعم!.

مريم:

- لا أصدق عيني.

يشاهدان رجلًا سرعان ما يلتفت إليهما... يتقدمان منه بحذر..

- أهلًا وسهلًا بمن حضر، أهلًا بالزوجين الكريمين.

يقتربان منه بارتياب..

- تفضلا، عندي لكما ما لذ من الأطايب والمشارب.

مريم:

- حقًّا؟!

- بالتأكيد سيدتي.

مريم:

- وما عندك؟.

- كل ما تشتهين.

فارس:

- وبكم؟

- بالأسعار الاعتيادية في أية مدينة من مدن المملكة.

مريم:

- يا للعجب!!

- ولِمَ العجب يا سيدتي؟ كل المخلوقات هنا من الجن والإنس يحتاجون إلى الطعام للبقاء أحياء.

تفضلا بالجلوس.

يجلس «فارس» و«مريم» وهما لا يصدقان ما يحدث لهما . .

مريم:

- أنطلب طعامًا؟.

فارس:

- ولِمَ لا؟.

مريم:

- أخشى أن تكون مكيدة.

فارس:

- مكيدة في طعام؟؟ لا يعقل.

مريم:

- فلنطلب إذن ما يسد الرمق فقط.

فارس:

- ما رأيك بحساء؟ فإن وجدنا أن الأمور على ما يرام طلبنا المزيد.

مريم:

- حسنًا.

يطلبان حساءً لكل منهما. . .

- فقط! حساء! لدي دجاج مشوي، ولحم ضأن وغير ذلك الكثير.

فارس:

- نريد طبقي حساء فقط.

- حسنًا كما تريدان.

ينتظران عشر دقائق ويأتيهما بطبقي حساء.

مريم (بابتسامة مرحة):

- إنه حساء بالخضار!!

فارس:

- هاها، أمر لا يصدق.

يبدآن بتناول الحساء... يشعران بلذة في طعمه فيتناولانه بشهية... سرعان ما يشعران بنعاس شديد... يحاول «فارس» النهوض من مكانه والإمساك بـ «مريم» والخروج من المطعم إلا أنها تسقط على الأرض فلا يلبث «فارس» أن يسقط معها..

* * *

يستيقظ «فارس» من نومه فلا يجد أي شيء أمامه.. مجرد أفق يميل إلى اللون الأزرق الفاتح يعم المكان وكل شيء قد اختفى حتى «مريم»...

- أين أنا؟ أين «مريم»؟ أين المطعم؟ أين كل شيء كان هنا؟.

يناديها بأعلى صوته..

فارس:

- مريم أين أنت؟

أين أنتِ؟ وأين أنا؟ لقد تعبت من كل هذه الأحداث والمواقف، لم أعد أحتمل.

يسمع صوتها..

مريم:

- «فارس» أنا هنا، للتو استيقظت من النوم.

فارس:

- أنا لا أراكِ.

مريم:

- وأنا كذلك لا أرى سوى مكان غريب كأني أسيرة فيه.

فارس:

- أنا مثلكِ تمامًا.

مريم:

- ولكن كيف لا نرى بعضنا؟

فارس:

- أظن أن الحساء الذي شربناه له علاقة بالأمر.

مريم:

- بل إنه هو السبب دون شك، ولكن ماذا سنفعل الآن؟

فارس:

- المصيبة أننا لا نرى بعضنا، ولكن يجب أن نلتقي بأي طريقة.

مريم:

- حسنًا سأناديك بأعلى صوتي.

تنادي «فارس» بصوت مرتفع..

يحاول «فارس» أن يجدها...

مريم:

- «فارس» ركز على صوتي، لا بدّ أن نمسك بيد بعضنا البعض...

يحاول «فارس» الإنصات لها عله يصل إليها ولكنه يفشل...

مريم:

- ماذا سنفعل الآن؟.

فارس:

- التفتي إليّ، سأضرب الأرض برجلي، وأنت تفعلين مثل ذلك، وكلما سمعنا صوت خبطاتنا نتجه إليها حتى نمسك بيد بعضنا.

مريم:

- حسنًا فلنبدأ.

يضرب كلاهما الأرض برجله.. يحاولان عدة ساعات إلا أنهما يخفقان في اللقاء.

مريم - تعبت يا «فارس».

فارس:

- وأنا كذلك ولكن لا بدّ أن نجد طريقة للقاء.

يرتاحان قليلًا... يكلم «فارس» «مريم» ولكنها لا تجيبه..

فارس:

- «مريم» هل داهمك النوم؟ أرجوك ما هذه ساعته.

فجأة يشاهد كلمة (أحبك) تكتب على الأرض..

يضع يده على الكلمة فيمسك بيد مريم...

فارس:

- أخيرًا التقينا.

مريم:

- قلبانا التقيا قبل جسدينا.

فارس:

- إنها فكرة سديدة منك يا عزيزتي.

مريم:

- من كثرة ما قاسيناه من أهوال.

تجهش بالبكاء..

تعبت يا «فارس»، ما يجري لنا أغرب من كل غريب وأعجب من كل عجيب، فنحن الآن لا نرى بعضنا وإنه لأمر مهول.

تبكي بحرقة...

فارس:

- حبيبتي لا تبكي، ليس لنا إلا الصبر فلنتمسك به.

مريم:

- وماذا نفعل الآن؟.

فارس:

- فلنمش في أنحاء هذا المكان علنا نجد مخرجًا.

يمسك كل منهما بيد الآخر ويمشيان.. يستمران في المشي من دون جدوى.. فجأة يسمعان ضحكات امرأة سرعان ما يشاهداها تتجه نحوهما..

- أهلًا بأبناء آدم، منذ مئات السنوات لم أر بشرًا في هذا المكان.

فارس:

- هل ترينَنا؟

المرأة:

- بالطبع.

مريم:

- ولكننا لا نرى بعضنا.

المرأة:

- أعرف ذلك، أنا أراكما وكل شخص يشاهدكما سوف يراكما إلا أنتما لا ترون بعضكما البعض.

مريم:

- وما سبب ذلك؟.

المرأة:

- لقد شربتما من الحساء في ذلك المطعم وهو سبب عدم قدرتكما على رؤية بعضكما..

فارس:

- وما العمل؟.

المرأة:

- أتريان ذلك المدخل هناك؟.

تشير بيدها إلى اليسار..

فارس:

- نعم.

المرأة:

- إنه بداية طريق، عليكما السير فيه لمدة عشرة أيام متتالية.

مريم:

- يا للهول!!

فارس:

- وبعد ذلك.

المرأة:

- ستجدان في نهايته بحيرة، اغطسا فيها وسوف تعودان إلى حالتكما الطبيعية.

مريم:

- وإن لم نفعل؟.

المرأة:

- ستظلان هكذا لمدة خمس سنوات قبل أن ينتهي سحر الحساء الذي شربتماه.

تبكي مريم..

فارس:

- مريم عزيزتي اهدئي.. سنفعل أيتها السيدة.

المرأة:

- بشرط.

فارس:

- ما هو؟.

المرأة:

- أن لا تتراجعا خطوة واحدة إلى الوراء فإن فشلتما في ذلك سيعود كل واحد منكما إلى مكانه الأول، أنت في معسكر الجبل وأنتِ مع الشيطان الذي جاء بك إلى هذا العالم.

فارس:

- يا للهول!

المرأة:

- ما ردكما؟.

مريم:

- لا أستطيع.

فارس:

- مريم أرجوك لا بدّ لنا من هذا، قوي عزيمتك.

مريم:

- لم أعد أحتمل.

فارس:

- وأنا كذلك، أكاد أشعر بالهزيمة في هذا المكان اللعين.

مريم (بيأس):

- لقد تعبت وما عدت أستطيع المواجهة.

فارس:

- عزيزتي ليس لنا ونحن نقاسي من أهوال هذا التحدي العسير غير أن نكافح من أجل الخروج من هنا.

مريم:

- ولكن..

فارس:

- عزيزتي إن كتب لنا الموت فلنمت ونحن نحاول، هذا أفضل من أن نموت من الجوع والعطش.

يلتفت إلى المرأة..

- موافقين.

المرأة:

- رائع أنتما إنسيان شجاعان حقًّا، اذهبا إذن، لن تجدا في الطريق سوى ماء ينساب من الأعلى، أما الطعام فلن تجدانه إلا بعد أن تتخلصا من سحركما.

تضحك ضحكة مخيفة وتمضي بعيدًا حتى تغيب عن ناظريهما...

يمسكان بيد بعضهما البعض... يجلسان أمام مدخل الطريق استعدادًا للسير فيه..

فارس:

- هل أنت مستعدة؟.

مريم:

- نعم.

فارس:

- هيا بنا.

* * *

يبدآن السير في الطريق الملتوي، لا يستطيعان المشي بسرعة فيداهما متشابكتان خوفًا من أن يفقد أحدهما الآخر أو التراجع إلى الوراء.

يستلقيان للراحة بعد عناء ساعات طويلة من المشي المتواصل...

يشمان رائحة طعام شهية.. يلتفتان خلفهما فيجدان مائدة مليئة بالطعام والشراب..

مريم:

- إنها مائدة مليئة بالطعام والماء والشراب.

فارس:

- سآتي بها.

مريم:

- فارس أجننت؟

فارس:

- لماذا؟

مريم:

- أنسيت أنك إن رجعت إلى الخلف ستعود إلى المعسكر من لحظتك.

فارس:

- يا للهول!! كدت أنسى!

مريم:

- بل كدت تلقى حتفك!!

فارس:

- شكرًا لك يا حبيبتي لولا تنبيهك لي لكان أمري انتهى.

مريم:

- إنها رائحة زكية فعلًا ولكن ما باليد حيلة.

يستأنفان السير فيجدان نفسيهما أمام حفرة عميقة. . .

مريم:

- يا للكارثة كيف السبيل إلى تجاوز هذه الحفرة اللعينة؟.

فارس:

- لا بدّ أن نقفز.

مريم:

- كلانا.

فارس:

- بل كل واحد منا بمفرده.

مريم:

- إنها مغامرة خطيرة.

فارس:

- لا بدّ لنا من ذلك.

مريم:

- ولكن إن تراجعنا إلى الوراء!!.

فارس:

- يا للهول نسيت ذلك ثانية.

مريم:

- وما العمل؟.

يفكران وهما في حذر شديد لكي لا يعودا إلى الوراء فيقعان في شباك النهاية الحتمية..

فارس:

- مريم هناك حل واحد.

مريم:

- ما هو؟

فارس:

- أن أستلقي أنا على طول هذه الحفرة وأنت تمشين على جسدي بيديك ورجليك حتى تصلين وبعد ذلك تسحبينني.

مريم:

- كلا هذا خطر جدًا ولا تنسى بأننا لا نرى بعضنا.

فارس:

- أعرف ذلك ولكننا تعودنا الآن على هذا الوضع ونستطيع التعامل مع بعضنا بسهولة أكثر من ذي قبل، ثم إنه لا حل غير هذا، فأنا أطول من الحفرة رغم عمقها.

يرسم «فارس» بيده علامات تدل على وجوه على الأرض ثم يتمدد بطول الحفرة...

مريم:

- فارس الأمر خطير.

فارس:

- هيا يا «مريم»، اعصفي ذهنك وركزي بشدة وازحفي علي بهدوء.

تتقدم «مريم» بخطى حذرة ناظرة إلى أسفل الحفرة...

مريم:

- آه تعبت..

فارس:

- لا وقت للراحة هنا، هيا واصلي.

تستمر في المشي فتصيبها موجة هواء عاصفة...

مريم:

- الهواء يكاد يسقطني.

فارس:

- تمسكي جيدًا وامضي بهدوء، تذكري أن رجوعك إلى الوراء يعني نهايتنا.

تستمر حتى تصل إلى يدي «فارس» الذي يتألم بشدة..

فارس:

- استمر لا عليكِ من آلامي.

مريم:

- أكاد أنزلق من يديك..

فارس:

- لا تلتفتي إلى الوراء ولا تنظري إلى الأسفل استمري إلى الأمام بخطى ثابتة. . . أنا أشعر بخطواتك، كدت تصلين.

تستمر في المشي برغم أنفاسها المتقطعة وآهات «فارس» وآلامه. . ما إن تصل حتى تتلمس يدي «فارس» فتسحبه بقوة إلى المسافة التي يحتاجها لتجاوز الحفرة. . . يلتقطان أنفاسهما ثم يمسكان بيد بعضهما البعض مجددًا ويستأنفان سيرهما. .

مريم:

- فارس إنني أكاد أجن من هذا المكان.

فارس:

- لا عليك يا حبيبتي، قد تشرق الشمس من أجلنا في يوم ما.

تكثر في الطريق الحجارة والحفر فيسيران ببطء وحذر. . . تتقاذف عليهما حجارة تعيق سيرهما. . إلا أنهما يستمران في المشي. . . الأطعمة المثيرة بروائحها الشهية تعذبهما طوال الوقت. . . لا يجدان سوى ماء قليل ينساب من جدران الطريق الجبلية. .

* * *

في اليوم العاشر يصلان إلى نهاية الطريق فيشاهدان بوابة في أعلاه. .

فارس:

- إنها بوابة مرتفعة.

مريم:

- ولكنها نهاية الطريق ولا أمل لنا غيرها.

يمشيان إليها ببطءٍ شديد... تنهال عليهما حجارة إلا أنهما يتجاوزانها... فجأة تشعر «مريم» بشعور غريب..

مريم:

- «فارس» قف فورًا.

فارس:

- ماذا؟

مريم:

- أشعر بأن أحدًا يمسك برجلي...

ينظر إلى الأسفل فيرى يدًا مجردة ممسكة برجل «مريم» اليمنى.

فارس:

- إنها يد سوداء ممسكة بك، وإنني أراها ولكن لا أراك وتلك هي المصيبة.

مريم:

- «فارس» بيننا الآن مسافة وإن كانت ضئيلة جدًا إلا أنها كافية لعودتك إلى الوراء.

فارس:

- أعرف ذلك.

تسقط عليهما المزيد من الحجارة..

مريم:

- إنني أنهار يا «فارس».

فارس:

- وأنا كذلك.

مريم:

- وما العمل؟

فارس:

- لا تتحركي ابقي ثابتة.

يتقدم «فارس» خطوات وهو ممسك بيد «مريم» ثم يجرها إليه، إلا أن اليد السوداء تمسك برجله. . .تتقدم «مريم» بخطوات وتجر «فارس» لتمسك اليد السوداء برجلها مرة أخرى، ثم تنزل عليهما دفعة أخرى من الصخور. . .

يمسك «فارس» بأحد الصخور ويضرب بها اليد بقوة فتختفي عن ناظريهما، ينتهزان الفرصة فيتقدمان بسرعة نحو البوابة، الصخور تعود لمهاجمتهما إلّا أنهما لم يعودا يهتمان لأمرها. .

ما إن يقتربا منها حتى تبدأ بالإغلاق. . يمسكان ببعضهما البعض ويسرعان الخطى إلا أن الصخور المندفعة تتدفق بأسرع من ذي قبل. . .

فارس:

- لن تغلقي أيتها البوابة إلّا بعد أن نتجاوزك.

مريم:

- لن تمنعنا عنك هذه الصخور أبدًا.

يصلان إلى البوابة فيقفزان بسرعة قبل أن تغلق.. يسقطان على الأرض ويغمى عليهما....

يفيقان من غيبوبتهما فيريان البحيرة...

يمسكان بيد بعضهما البعض ويغطسان فيها... ما أن يخرجا رأسيهما من الماء حتى يريا بعضهما البعض. .يرتمي كل منهما في حضن الآخر...

مريم:

- «فارس» لا أصدق أننا نجحنا.

فارس:

- إنها الحقيقة المطلقة يا عزيزتي.

يتأمل في وجهها..

فارس:

- منذ زمن لم أرك.

مريم:

- ولكني كنت أراك دائمًا.

فارس:

- تريني! كيف؟

مريم:

- بعين قلبي لأنك بداخله.

فارس:

- وأين هي هذه العين؟.

مريم:

- إنها في أجسادنا الشفافة التي لا تخضع لقوانين هذه العوالم، إنها موجودة في داخل كل منا.

فارس:

- «مريم»، سواء كنت أراك أو لا أراك فأنت معي لأنك روح قلبي.

* * *

يستريحان من العناء الطويل، يأكلان من ثمار الأشجار ويشربان من مياه البحيرة.. ويتخذان من الحشائش منامًا، إلا أنهما يستيقظان على اهتزاز الأرض..

تبدأ الصخور بالتساقط.....يحاولان تجنبها... يحتميان عند طرف لا تصله الصخور...

ينظران في أنحاء المكان فيشاهدان طريقين..

مريم:

- هذا طريق إلى الأمام وذاك باتجاه اليمين.

فارس:

- أي طريق نسلك؟.

مريم:

- يجب أن نقرر قبل فوات الأوان.

فارس:

- فلنذهب إلى الأمام.

مريم:

- ولماذا لا نذهب إلى اليمين؟.

يشتد الزلازل..

فارس:

- «مريم»، إن حياتنا تتجه إلى الأمام، الضوء يتجه إلى الأمام، الزمن إلى الأمام، أبصارنا إلى الأمام، ونحن نريد الذهاب إلى الأمام، فلماذا لا يكون هذا الطريق هو طريق الخلاص؟.

مريم:

- هيا بنا إذن.

يسرعان الخطى نحو الطريق... يمضيان فيه ويركضان بسرعة داخله وسط الصخور التي تنهمر بسرعة...

يصلان إلى مغارة أخرى فيجدان فيها طريقين آخرين..

فارس:

- انظري هذا الطريق منير، وذاك طريق مظلم.

مريم:

- وأي الطريقين نسلك؟

فارس:

- لا شك أنه يجب أن نتجه إلى ذلك الطريق المنير.

مريم:

- لا، فلنسلك الطريق المظلم.

فارس:

- لماذا؟

مريم:

- النهار يأتي بعد الليل، والفرج بعد الشدة، والطريق المظلم قد يكون بعده النور الذي ننشده، أما أن يكون النور في البداية فقد يكون بعده ظلام أبدي دامس.

فارس:

- فلنمض إذن وليكن ما يكون.

يسيران في الطريق المظلم فيجدان نفسيهما وسط عتمة حالكة..

فارس:

- إنه ظلام عات.

مريم:

- لا بدّ أن يشرق النور، أنا متأكدة من ذلك.

يستمران في المشي وسط الظلمة الحالكة فيشاهدان نورًا... ينظران إلى بعضهما بأمل وإشراقة.. يتجهان إليه بخطى ثابتة حذرة.. تيار هوائي يصدهما إلا أنهما يتشبثان بالصخور

والجدران.. يواصلان السير رغم الرياح.. يغمرهما نور هائل... يستران عيونهما بكلتا يديهما...

يجدان نفسيهما على عتبة مدخل مغارة بوسط جبل شاهق أسفلها بحر زاخر والغيوم تكاد تلامسهما..

فارس:

- انظري إلى السماء الزرقاء يا مريم.

مريم:

- لقد خرجنا أخيرًا من «عين الطاووس» أليس كذلك؟

فارس:

- اسألي البحر وهو يجيبك.

يعانقان بعضها البعض بدموع منهمرة وبكاء مشوب بفرح الانتصار..

مريم:

- لقد نجحنا يا «فارس»... نجحنا.

فارس:

- أخيرًا خرجنا من «عين الطاووس».

مريم:

- نحن في آخر نقطة من مملكة الشيطان.

فارس:

- ولكني أخشى أن يكون هنا شياطين أيضًا، فلنسرع خطى المغادرة للوصول إلى أقرب بلد يعيش فيه البشر.

تعاود «مريم» البكاء.

مريم:

- لا أصدق أننا خرجنا من «عين الطاووس».

فارس:

- لا تبكي يا عزيزتي، أحيانًا الإنسان يرسم قدره وأحيانًا يقع عليه قدر مرسوم.

مريم:

- أي أقدار عاتية جعلتنا أسرى لهؤلاء الشياطين؟

فارس:

- ليس بيدنا أن نغيّر ما وقع علينا من القدر ولكننا نستطيع تغيير ما بعده من الأقدار.

الحلقة السابعة

السفينة رقم (٨١٩١)

يباشر «فارس» و«مريم» النزول من الجبل الشاهق.. إلا أن الظلام يهل عليهما وهما لا يزالان في منتصف الجبل.... يصلان إلى منحدر كبير فيتخذانه مكانًا لراحتهما إلا أن الجو البارد يمنعهما من السكينة... يجمع «فارس» بعض الحشائش وأغصان الشجر ويشعل النيران... يتدفآن بها ويشعران بالطمأنينة والانتعاش...

فارس:

- الآن نستطيع التمتع برؤية النجوم والسماء الصافية ونحن في أعالي هذا الجبل الرهيب.

مريم:

- أتمنى ألا يهاجمنا أحد هنا.

فارس:

- لا أظن أن الشياطين موجودين في هذه المنطقة النائية.

مريم:

- تبدو منطقة خالية من السكان.

ينامان بعمق من شدة التعب، إلّا أن خمود النار واشتداد لسعات الهواء الباردة توقظهما . . .

ينتظران بشغف بزوغ الشمس ليستأنفا هبوطهما من الجبل . .

مريم :

- يا لهذا الجبل المهول متى نتحرر منه؟ .

فارس :

- فعلًا جبل رهيب، لذا يجب أن نكون حذرين، فالوقوع من هذا الجبل يعادل الفشل في «عين الطاووس» والعودة إلى الاستعباد مرة أخرى .

ساعات طويلة يمضيانها في النزول من الجبل، ما أن يهل العصر حتى يكونا قد وطئا الأرض بقدميهما . . يستلقيان من فورهما من فرط الإنهاك . .

مريم :

- انظر يا «فارس» إلى الجبل كم هو شاهق .

فارس :

- لقد كنا هناك في ذلك الارتفاع المهول .

مريم :

- لقد قضينا ما يناهز الأربع والعشرين ساعة للنزول منه .

مريم :

- وماذا سنفعل الآن؟

فارس:

- هيا بنا نقطف شيئًا من ثمار هذه الأشجار ونبحث عن ماء يروينا.

يأكلان من بعض الثمار ويشربان من ينبوع ماء يتدفق من بين بعض الصخور... ينتعشان قليلًا فيقرران المشي بمحاذاة الشاطئ... يشاهدان مراكب كثيرة...

مريم:

- يا إلهي إنها مراكب مشرعة للإبحار.

فارس:

- إنه الأمل يلوح بالأفق يا عزيزتي.

يلتفتان يمينًا وشمالًا فيشاهدان شخصًا مستلقيًا بالقرب من أحد القوارب، يهرعان إليه على الفور.. يلتفت إليهما فيتقدم نحوهما هو الآخر...

- أهلًا بكما.

يتأملانه فيعرفان من هيئته بأنه شيطان..

- أهلًا وسهلًا بكما، أنتما من الإنس أليس كذلك؟.

فارس:

- نعم.

- حللتما أهلًا ووطئتما سهلًا، أنا خادم شاطئ «القنع» ومكلف بخدمة من يصل إلى هنا أينما كان، هل تريدان قاربًا تغادران به المملكة؟.

مريم:

- هل أنت شيطان؟.

- لا أحد يسكن في مملكة ملك الملوك «أبي مرة» إلا الشياطين والجن.

مريم:

- إذن أنت أحد جنود الملك أبي مرة؟

- لا يا سيدتي، إنني خادم هذا الشاطئ منذ سنوات طويلة وعملي هو بيع هذه القوارب لأي شخص يخرج من «عين الطاووس» أو يكون قادمًا من ناحية ذلك الجبل الأشم الذي خرجتما منه.

فارس:

- هل أنت صادق فيما تقول؟.

- بالطبع يا سيدي، إنني من عائلة توارثت هذه الخدمة من آلاف السنوات.

مريم:

- وكيف نشتري قاربًا من عندك؟.

- كما تشترون أي سلعة يا سيدتي، سأختار لكما قاربًا قويًّا يوصلكما إلى دياركما، تعالا معي.

يعرض عليهما بعض القوارب..

- هذا القارب صغير ولا أظنه يناسبكما، انظرا إلى هذا القارب إنه واسع وقوي ويتحمل الأمواج والعواصف، إنه مناسب لكما تمامًا.

فارس:

- وبكم تعطينا إياه؟

- بأربعة آلاف داسم فقط.

مريم:

- ومن أين لنا المال؟.

يأخذها «فارس» على انفراد..

- هل نسيتِ أن شيخ القرى زوّدنا بأربعة آلاف داسم؟. كما أن عندي ألفي داسم أخرى متبقية من المبلغ الذي أعطاني إياه الشيطان الذي ساعدني.

يتوجهان إلى الشيطان...

فارس:

- لقد اتفقنا على شراء هذا القارب.

- إنه قارب قوي، وسوف يوصلكما إلى مقصدكما دون شك، أريد منكما أربعة آلاف داسم وخمسمائة داسم أخرى..

مريم:

- لماذا؟

- ألا تريدان تجهيزه؟ سأعده للإبحار وما عليكما سوى الانطلاق ضحى الغد، فالظلام بدأ بالهبوط ولا أنصحكما بالمغادرة الآن.

فارس:

- كلامك حق.

يسلم «فارس» النقود إلى الشيطان.

- تستطيعان المكوث فيه، فهو لكما الآن وغدًا صباحًا ستجداني عندكما.

يذهب عنهما لكي يبيتا في القارب. . .

فارس:

- إنه مكان هادئ تمامًا إلا من أمواج البحر وبعض الطيور.

مريم:

- ولكن لماذا يعيش هذا الشيطان وحيدًا هنا؟

فارس:

- هناك أشياء كثيرة لا نفهمها يا عزيزتي ولكنها ضرورية لتكامل الحياة واستمراريتها.

مريم:

- أتدري، الشياطين والجن لا يختلفون عن البشر في أحوالهم إلا قليلًا.

فارس:

- هذا ما لمسته منهم، فكل من الإنس والجن يحملون ذات العقل والإرادة، الاختلاف الجوهري هو في الطبيعة الجسدية لكل منهما، وبعض الخصائص النفسية المرتبطة بها.

مريم:

- كنت سابقًا أعتقد بأنهم مخلوقات خارقة وكنت حتى وقت قريب أتصور بأنهم يعيشون حياة بدائية.

فارس:

- ولكن عندما جئت إلى هنا صُدمتِ من حقيقة كونهم يعيشون حياة مشابهة للبشر.

مريم:

- نعم هذا ما رأيته رؤيا العين.

فارس:

- نحن وهم نعيش على كوكب الأرض ومن الطبيعي أن تتماثل معايشنا.

مريم:

- ورغم ذلك فإن لهم عالمهم ولنا عالمنا.

فارس:

- وليس هذا فقط فإن عالمهم مادي مثلنا، على الأقل بالنسبة لهم، وكنا نظنه عالمًا غير ملموس مطلقًا.

مريم:

- قد يكون غير ملموس بالنسبة لنا، وغير مادي بالنسبة لنا، ولكنه مادي وملموس بالنسبة لهم، ونحن الآن في عالمهم ولا نراه إلّا ماديًّا صلبًا، لأننا امتلكنا الكيفية والخاصية التي جعلته حقيقة ماثلة أمامنا.

فارس:

- إنها الحقنة التي حقنونا بها في أول أيامنا في بلادهم.

مريم:

- هذا ما كنت أريد قوله.

فارس:

- ألا تعتقدين يا عزيزتي بأنه قد يكون هناك في الفضاء البعيد مخلوقات عاقلة تقوم حياتها على الحضارة والعلم؟.

مريم:

- ياه!! أيكون الآن وفي هذه اللحظة التي تمر علينا في مكان ما من هذا الكون المترامي الأطراف مخلوقات لا نراها ولا نعرف عنها شيئًا، تحمل آلامًا وهمومًا، وطموحات وآمالًا، وفي قلوبها حب وكره، حزن وسعادة.

فارس:

- ياه! خيالك واسع يا «مريم».

مريم:

- هناك في مملكة «أبي مرة»، حياة كحياتنا، الليلة مثلًا قد يكون عند بعض العائلات فرح وزواج، أو وفاة وحزن، وقد يعاني مجتمع «إبليسيا» مثلما تعاني بعض مدن البشر من مصاعب المعيشة والعدالة الاجتماعية و...

فارس:

- عزيزتي تطرفت!!

مريم:

- هل أزعجتك؟.

فارس:

- أبدًا، كلامكِ رائع جدًا، فالشياطين حتى وإن كانوا أعداءنا فهم نظراؤنا، وهم بكل تأكيد يعيشون أحوالنا إلى حدٍّ كبير، وتسري عليهم سنن الله مثلنا ومثل بقية خلقه.

- إنها النسبية إذن.

- بالتأكيد يا عزيزتي، فقد يكون جنود الملك «أبي مرة» يسعون إلى نشر الشرور بيننا نحن البشر كسفك الدماء وإثارة الأحقاد والحروب وافتعال الأزمات، إلا أنهم فيما بينهم يعيشون بنقائضها، إذ يجب أن يكون بينهم التعاون والإخاء والمحبة والصدق والإخلاص، لأنهم في النهاية كائنات عاقلة ولا تستقيم حياتهم إلّا بهذه الفضائل والمثل.

- عزيزي فلننم الآن فغدًا أمامنا عمل شاق.

يناما ليلة هادئة، وفي الصباح يأتي إليهما الشيطان...

- أهلًا بكما أتمنى أن تكونا قد نمتما جيدًا.

فارس:

- منذ فترة طويلة لم ننم نومًا هادئًا كليلة الأمس.

- هذا حسن، فلنبدأ العمل إذن، عليكما أولًا جمع كفايتكما من الثمار والماء، لقد جهزت لكما حاويات وقوارير لهذا الغرض.

فارس:

- سنبدأ فورًا.

يشرعان في جمع وتعبئة الثمار والمياه بينما يجهز الشيطان الشراع..

يضعان المؤن في القارب ثم يبدأ الشيطان بتعليمهما كيفية إدارة دفة القارب...

فارس:

- ولكن إلى أين سنتجه؟

- سيدي هذا ما لا أستطيع إفادتك به، فأنا لا أعرف ما وراء هذا البحر.

مريم:

- عجيب أمرك تعيش بالقرب من البحر ولا تعرف ما وراءه؟

- بل إني لا أعرف حتى السباحة.

فارس:

- غريب!

- إني أؤدي خدمتي فقط ولا أستطيع تجاوز ذلك.

مريم:

- أو تبقى طوال عمرك هنا؟.

- (بابتسامة) إننا معاشر الجن والشياطين لا نختلف عنكم معاشر البشر، إنني أقضي شهرًا هنا ثم أعود إلى مدينتي حيث أهلي وعشيرتي، ويأتي شخص آخر مكاني، وهكذا دواليك.

فارس:

- الآن فهمت!!

- هيا لا وقت للحديث، عليكما صعود القارب والإبحار سريعًا خاصة وأن اليوم الشمس مشرقة والبحر هادىء.

مريم:

- ألا نتريث قليلًا؟.

- لا يا سيدتي عليكما المغادرة الآن.

يبدآن بترتيب الأمتعة بينما يتفحص الشيطان القارب..

- ألم ننسى شيئًا؟

- لا، كل شيء جاهز.

ينظر «فارس» حوله فلا يرى أي أثر للشيطان..

فارس:

- يبدو بأن الشيطان قد اختفى.

مريم:

- بت أخشى منه ومن الإبحار بهذا القارب.

فارس:

- لا أمل لنا إلا هذا القارب للعودة إلى عالمنا.

يقطع «فارس» الحبل وينزل الشراع... يتحرك القارب ويتوغل داخل البحر إيذانًا ببدء رحلة عودتهما إلى ديار البشر...

فارس:

– أين سنذهب ونحن لا نمتلك بوصلة أو خريطة؟

مريم:

– الأمر محيّر حقًّا، ولكن لا خيار أمامنا، فمن ورائنا الشياطين، ولا يجب أن نعود لهم أبدًا.

يركبان في البحر الذي بدأت أمواجه تكبر..

فارس:

– يا إلهي البحر بدأ يظهر على حقيقته.

تهاجمهما الأمواج.. مياه البحر تدخل إلى سطح القارب.. يحاول «فارس» تجنبها بصعوبة بالغة...

يستمران عدة ساعات وهما يصارعان الأمواج العاتية حتى تسكن قليلًا...

مريم:

– لقد عاد الهدوء ثانية.

فارس:

– الأمواج لا تزال هائجة ولكن بمستوى أقل من ذي قبل.

مريم:

– إننا نبحر في خط مستقيم لنضمن عدم عودتنا إلى مملكة «أبي مرة» ولكننا لا نعرف على الحقيقة إلى أين نحن ذاهبان؟

فارس:

– لا بدّ وأن ثمة نهاية لهذا البحر، لا شك في ذلك.

يهل عليهما الليل، تنام «مريم» قليلًا إلا أن الأمواج الغاضبة تعود لمهاجمتهما، ثم تهب رياح شديدة وتنزل أمطار غزيرة.. تبدأ «مريم» بتجريف المياه من القارب بينما يسير «فارس» الدفة متجنبًا الأمواج ما استطاع، يستمران في صراعهما مع أمواج البحر حتى الفجر...

ما أن يقترب شروق الشمس حتى تسكن الرياح وتنقطع الأمطار وتهدأ الأمواج.. يسقط «فارس» و«مريم» من شدة التعب، إلا أن «فارس» سرعان ما يقود الدفة من جديد خوفًا من عودة القارب إلى مملكة «أبي مرة»...

يستمران في الإبحار عدة أيام..

مريم:

– «فارس» لقد بدأ الطعام ينفد والماء على وشك النفاد.

فارس:

– علينا الاقتصاد يا عزيزتي.

مريم:

– أكثر من سبعة أيام بلياليها ونحن وسط هذا البحر المخيف.

فارس:

– ليس بيدنا حيلة يا حبيبتي.

مريم:

– لو كان عندنا منظار.

فارس:

- لسهل علينا الكثير، على الأقل ربما نجد جزيرة صغيرة نرتاح فيها ونتدبر أمرنا منها.

مريم:

- ما رأيك أن نغير الاتجاه؟.

فارس:

- لقد غيرناه عدة مرات وأخشى من الوقوع في الاتجاه الذي يعيدنا إلى مملكة «أبي مرة».

مريم:

- وأنا كذلك.

فجأة يشاهدان سفينة عن بعد..

مريم:

- يا إلهي انظر يا فارس إنها سفينة.

فارس:

- يا ألطاف الله، إنها سفينة حقًّا.

مريم:

- لقد نجونا.

يوجه «فارس» الدفة نحوها بينما تلوح «مريم» بقطعة قماش.. يسيران باتجاهها والأمل يحدوهما بالعودة إلى عالم البشر والخلاص من عالم الشياطين إلى الأبد.

❊ ❊ ❊

- سيدي إنه قارب.

- اتجه إليه فورًا.

تقف السفينة لينطلق منها قارب إنقاذ يقوده بحارّان. . يصلان إلى «مريم» و«فارس»، يطلبان منهما رفع أيديهما ليقيدانهما على الفور، ثم يسحبان قاربهما ويعودان إلى السفينة. . ما أن يطآ سطح السفينة حتى يحيط بهما البحارة.

فارس:

- نحن مدنيون.

كبير البحارة:

- من الواضح أنكما كذلك، ولكن من أين جئتما؟.

فارس:

- هذه قصة طويلة يا سيدي.

يأتي أحد طاقم السفينة ويتحدث مع كبير البحارة. .

كبير البحارة:

- حسنًا، القبطان يأمر بأخذهما إلى الحجز وتوفير كل ما يحتاجانه.

ينقل «فارس» و«مريم» إلى غرفة مريحة، بها كل ما يحتاجانه من الطعام والشراب. . .

- لقد نجونا يا «فارس»، لقد عدنا إلى عالمنا.

- الحمد لله.

يحتضنان بعضهما البعض ببكاء . .

فارس :

– هيا يا عزيزتي فلنتناول الطعام ويأخذ كل منا حمامًا ساخنًا .

مريم :

– لقد انتهت معاناتنا أخيرًا .

فارس :

– كانت أكثر من معاناة، إنها كارثة حلت بنا ونجونا منها بفضل الله سبحانه وتعالى .

مريم :

– والآن ماذا سنفعل؟

فارس :

– «مريم» هل ستعودين إلى بلدك؟

مريم :

– «فارس» أنت زوجي وأنا معك إلى الأبد، وأينما تذهب أذهب معك، ولكن لا بدّ من أن أزور أهلي، وبعدها أذهب معك حيث تشاء .

مريم :

– أحبك يا «مريم» ولا أستطيع الاستغناء عنك لحظة واحدة.

فارس :

– وأنا كذلك يا حبيبي .

* * *

ينامان نومًا عميقًا... بينما تبحر السفينة باتجاه القدر المرسوم... في صباح اليوم التالي كانا لا يزالان نائمين.

القبطان:

- ألا يزالا نائمين؟

نائب القبطان:

- نعم سيدي.

- يبدو بأنهما متعبان جدًا.

- هل نوقظهما.

- كلا دعمها، أريدهما في كامل وعيهما ولياقتهما.

يستيقظ «فارس» من نومه ويأخذ حمامًا ساخنًا..يستأذنه الحارس بالدخول لتقديم طبق الإفطار يتناول وجبته بينما لا تزال «مريم» تغط في نوم عميق....يحاول الخروج من الحجز إلا أن الحارس يمنعه من ذلك...

- سيدي يحظر عليكما تجاوز هذه النقطة.

- وإلى متى؟

- حتى يتم التحقيق معكما.

يستلقي «فارس» على سريره بينما تستيقظ «مريم» من نومها...

- ما بالك يا عزيزي؟

- نحن سجينان هنا.

- هذا أمر طبيعي فلقد التقطونا من وسط البحر.

- نخرج من سجن لنعود إلى سجن آخر.

- لا تهول الأمر سنخرج عما قريب إلى عالم البشر الفسيح.

تأخذ «مريم» حمامها وتتناول طعام الإفطار بشهية..

مريم:

- ياه! بيض بالخبز الأبيض! وجبنة بيضاء وحليب وكورن فليكس!!

فارس:

- هاهاها. لقد نسينا هذه الوجبات منذ أمد بعيد.

يستأذن الحارس بالدخول عليهما..

- إن القبطان يدعوكما لمقابلته.

- هيا يا «مريم» لننهِ الأمر.

يتجهان برفقة الحارس إلى مكتب القبطان الذي يستقبلهما بحفاوة..

القبطان:

- أهلًا بكما.

فارس:

- أهلًا بك سيدي.

القبطان:

- أتمنى أن تكونا بصحة جيدة.

فارس:

- الحمد لله نحن بخير.

القبطان:

- تفضلا بالجلوس.

القبطان:

- من أين جئتما ومن أين لكما هذا القارب الغريب؟.

فارس:

- إنها قصة طويلة جدًا يا سيدي.

القبطان:

- أنا لا أصرّ أن تحكيها لي فأمامكما تحقيق طويل عندما نصل إلى الميناء.

فارس:

- إلى أن نتجه؟

القبطان:

- إلى ولاية «فلوريدا»، حيث القاعدة البحرية العسكرية الأمريكية وهناك سوف نسلمكما إلى السلطات المختصة.

فارس:

- لا بأس.

القبطان:

- ألستما خائفين؟

مريم:

- كلا .

القبطان :

- لماذا؟

مريم :

- لأننا لم نرتكب جرمًا .

القبطان :

- هل أنتما متزوجان؟ .

فارس :

- نعم .

القبطان :

- أخبراني من أين أبحرتما على الأقل؟

يلوذان بالصمت . .

القبطان :

- حسنًا يحق لكما الامتناع عن الإجابة .

القبطان :

- قاربكما غريب المظهر، لم أره من قبل، ولا أظن أحدًا يستخدمه .

فارس :

- ولكنه قارب جيد .

القبطان:

- قارب صغير يبحر في بحر متلاطم الأمواج، إنه دون شك أمر جدير بالاهتمام.

يدخل نائب القبطان... يلفت نظر «مريم»...

مريم:

- فارس هذا الرجل كأني رأيته من قبل.

فارس:

- لعلك رأيته في مكان ما.

مريم:

- كلا أشعر بأني رأيته خلال وجودنا في مملكة الشيطان.

فارس:

- مريم انسي أمر تلك البلاد، نحن الآن في عالمنا.

ينظر القبطان إلى «فارس» بتركيز.. بينما ينظر مساعده إلى «مريم» بابتسامة ماكرة..

يتنابهما القلق...

القبطان:

- اسمك «فارس» واسمها «مريم»، أليس كذلك؟.

- نعم سيدي.

- ما رأيك بهذه البردية؟

يتلقفها مساعده الذي يعطيها إلى «فارس» الذي يقف في ذهول

ويفتحها بسرعة فيجدها البردية التي كتب عليها في ليلة عيد النزول التحذير الذي وجهه للشياطين:

(قريبًا سوف تصل جيوش الجنس البشري إلى بلادكم لتدمرها، البشر قادمون لتدمير مملكة الشيطان).

ينظر «فارس» لهما بخوف.. بينما تقف «مريم» وهي تستشعر الخطر....

فارس:

- مستحيل!!

مريم:

- ما بك؟ ما هذه البردية؟.

يناولها إياها... تنتاب «مريم» صدمة عنيفة فتسقط مغشيًّا عليها... يمسك بها «فارس» محاولًا إيقاظها، بينما يضحك القبطان ومساعده بهستيريا... .يضع «فارس» يده على أذنيه من شدتها إلا أنه لا يستطيع تحمل ضحكاتهما المجنونة.. يهرول مفزوعًا في مختلف الاتجاهات حتى يسقط مغميًّا عليه.....

❊ ❊ ❊

تستيقظ «مريم» فترى نفسها في مكان مظلم إلا من بعض النور.. توقظ «فارس»..

فارس:

- أين نحن؟

مريم:

- يبدو بأننا عدنا إلى دولة الشياطين.

يتطلعان في المكان فيجدان نافذة فيسارعان إلى فتحها..

فارس:

- انظري يا «مريم» إنه البحر.

مريم:

- لا نزال في السفينة إذن.

فارس:

- ولكنها ليست سفينة بشرية يا «مريم».

مريم:

- يبدو ذلك.

مريم:

- هل هم....؟

فارس:

- أظنهم هم.

فجأة يسمعان ضحكات مرعبة.. سرعان ما تنقطع ليفتح الباب ويدخل منه نائب القبطان..

- استيقظتما أخيرًا.

مريم:

- أنت. . .

- نعم أنا «الذوق».

(فارس- مريم):

- «الذوق»!!

- لم تنسياني على ما أظن، أنا «الذوق» أحد أتباع ملك الملوك «أبي مرة» المعظم وأحد أصدقائه الشخصيين.

يأتيهم النداء. . . :

مولانا ملك الملوك «أبو مرة» المعظم قادم إليكم. . .

الذوق:

- قفا جيدًا بحضرة الملك المعظم.

يتقدم منهم «أبو مرة» في صورة القبطان، يحوطه عدد من الحرس ونور هالته يعم المكان. . .

الملك أبو مرة:

- منذ مئات السنوات لم ألتقِ بأي كائن بشري، لم يتغير البشر، هذه هي صورهم وأشكالهم منذ خلقوا.

الذوق:

- انظر لهما يا مولاي إنهما فعلًا مخلوقان من تراب! حركاتهما وسكناتهما تدل على ثقل أجساد البشر التي تحوي بداخلها مئات الأجهزة التي تزيدها كثافة وتعقيدًا، بعكس أجسادنا نحن الخفيفة الرشيقة.

الملك أبو مرة:

- يذكرني هذا الرجل بأبيه «آدم» وتلك الأنثى بأمها «حواء»، يا لها من أحداث مهولة جرت قبل أكثر من نصف مليون عام من سنين الدنيا وستظل تذكر إلى أبد الآبدين، ولكنها بالنسبة لي حدثت كأنها بالأمس القريب.

الملك أبو مرة:

- «فارس»، «مريم»، أنا معجب بشجاعتكما لقد تمكنتما من الخروج من «عين الطاووس» وواجهتما أهوالها بشجاعة.

يلوذان بالصمت..

الذوق:

- ما بالكما لا تجيبان ملك الملوك؟

الملك أبو مرة:

- لا تضغط عليهما أيها «الذوق».

فارس:

- ماذا تريدون منا؟.

الملك أبو مرة:

- استمعا إلي يا ابني آدم، إن تمكنتما من الخروج من «عين الطاووس» فهذا لا يعني أنكما خرجتما من قبضتي، أنتما ملكي وستظلان كذلك حتى تعتصمان مني بالموت.

فارس:

- نحن ملك لخالقنا.

- بل أنتما ملكٌ لي ولكن...

مريم:

- ماذا أيها الملك؟.

الملك أبو مرة:

- إذا كنتما تريدان العودة إلى عالمكما فإني سأسمح لكما بذلك، خلال دقائق ستكونان في عالم الإنس وبين أهليكما ولكن بشرط أن تعلنا الولاء لي والخضوع لسلطتي وأن تنفذا كل أوامري، وأن يسري هذا الأمر على نسلكما جيلًا بعد جيل.

فارس:

- نحن نريد العودة إلى بلادنا وحسب.

الملك أبو مرة:

- إن هذا هو عين المستحيل، قدركما أن تكونا من أتباعي، وإلّا أمرت بإعدامكما على الفور.

فارس:

- نحن عبيد لله ولا نتبع إلا الحق الذي بعث به.

الذوق:

- اخرس ثكلتك أمك، أنت بحضرة ملك الملوك «أبي مرة» المعظم، وافقا ولا تكونا متعصبين كآبائكما الأولين، عندما تكونان مع ملك الملوك ستكونان الأفضل بين بني البشر، وسوف تتفوقان

على كل بني آدم في كل أصقاع الأرض، ستكونان الأقوى في كل شأن من شؤون حياتكما.

فارس:

- لا نريد ذلك، ما قيمة أن نكون الأقوى بقوة ليست نابعة من ذاتنا؟، لا نريد سوى أن نعود إلى بلادنا وأن نعيش بأمان، نقسم لكم بأننا لن نكشف لأي كان ما شاهدناه وعرفناه وتعلمناه في بلادكم، لا نطمح سوى أن نقضي بقية حياتنا بين أهلنا وقومنا.

الذوق:

- أترفض الولاء لملك الملوك «أبي مرة» المعظم؟ أتدرك من تخاطب ومن أنت بحضرته؟.

أنت تقف أمام ملك ملوك الشياطين، أعظم بني الجان وغالب الأزمان والسابح في الأكوان.

أنت تقف بين يدي معبود الرياح، العالم بالأسرار ومسير الديار وقاهر الأخيار والأشرار، أنت أمام من تدين له بالولاء الملايين من المخلوقات النارية والترابية والأرواح الخيرة والشقية، أنت أمام كليم الملائكة، ومن رأى الجنة والنار وساح في السماوات العلى، أنت أمام من أمسك الزمان ودان له المكان وتشتت أمام قوته الأبعاد، أنت أمام من اخترق الحجب وبغى على النواميس والمثل.

أنت أمام صاحب الاسم الكبير والطبل العظيم، أنت أمام «أبي مرة» المخلوق من نار لا من طين، أنت أمام من قال لا في وجه من

قالوا نعم فظل روحًا تنبعث منها نوازع الكبرياء والعظمة إلى أبد الأبد.

أنت أمام البحر الزاخر والعلم الباهر، أنت أمام شمس المعارف الكبرى ومنبع أصول الحكمة.

أنت أمام من غضب عليه رب العالمين، فلم يرجع أو يستكين، وفضّل الجحيم على النعيم.

مريم:

- أرجوك أيها الملك نحن مجرد بشر ضعفاء لا نطلب سوى الحرية والخلاص.

الذوق:

- عندما كنتما في «عين الطاووس» أمر الملك المبجل بأن تنقلا إلى عالمكما ساعات محدودة، هل تذكران ذلك؟

مريم- إذن كان هذا حقيقيًّا؟.

الذوق:

- لقد حدث لكما انشطار جسدي بأمر الملك المبجل، وسافرتما إلى عالمكما بالجسد الشفاف الذي تكثف حتى يراه البشر كأنه الجسد الترابي، إن قدرة الملك «أبي مرة» ليس لها حدود.

يقترب منها «أبو مرة»..

...تشعر بضعف مفاجئ من اهتزازات جسده فتتهاوى إلى الأرض...

الذوق:

- ويلك أيها البشري أمسك أنثاك وأوقفها على رجليها، فليس من الأدب أن يتمدد أحد قبالة الملك المبجل وهو واقف أمامه بكل عظمته وكبرياءه.

يمسك بها ويوقفها إلى جانبه...

الملك أبو مرة:

- وافقا لتكونا الأقوى بين بني جلدتكما، أنتما من أبحث عنهما منذ مئات السنوات وها أنا قد عثرت عليكما أخيرًا، ولن تهربا مني إلا بالموت.

الذوق:

- ما بالك صامت يا بن البشر؟ أجب الملك.

فارس:

- أيها الملك لا أحد ينكر قوتك وعلمك وحكمتك، وأنت الحاكم على الملايين من الجن والشياطين وتحكم مملكة عظيمة مزدهرة وقوية، ولك السلطة العليا والمرجعية على عشرات الممالك الأخرى، ولكننا لسنا سوى بشر نعيش في عالم موازٍ لعالمكم، ونريد فقط أن نعود إلى بلادنا وقومنا لنعيش بسلام.

الذوق:

- الويل لك أترفض أوامر الملك المعظم؟.

يقترب منه الذوق والشرر يتطاير من عينيه..

الذوق:

- كيف ترفض الخضوع للملك العظيم «أبي مرة»؟

ينظر إليه «فارس» ببسالة.

فارس:

- ولماذا لم يخضع هو لملك الجبارين وقاهر الملوك والسلاطين؟.

الذوق:

- ويلك، كيف تجرؤ؟

فارس:

- ورغم ذلك لم ينتقم منه ربه بل أعطاه كل ما يريد وها هو ملك عظيم تدين له الملايين بالولاء والطاعة.

الذوق:

- الويل لك! أتقارن نفسك بالملك؟

- الحرية لخلق الله أجمعهم أيها «الذوق».

الذوق:

- بل الحرية للأقوياء أما الضعفاء أمثالكم فليس لهم إلا أن يكونوا عبيدًا إلى الأبد.

الملك أبو مرة:

- دعه أيها «الذوق» فلقد حكم على نفسه بالموت.

الذوق:

- بماذا تأمر سيدي؟.

الملك أبو مرة:

- اصعد به مع أنثاه على ظهر السفينة، وادعُ الشياطين جميعًا لمشاهدة تنفيذ حكم الإعدام بهما.

- أمرك سيدي سينفذ فورًا.

يغشى على «مريم» من هول قرار الملك..

* * *

يأخذهما الحرس ويقيدوهما بحبال وثيقة وينصبونهما في مقدمة السفينة..

تستيقظ «مريم» من غشيتها فترى نفسها مقيدة مع «فارس» الذي بدا في حالة من الإحباط والعجز..

- فارس ما الذي سيفعلونه بنا؟.

ينظر إلها بيأس...

- لقد أصدر «أبو مرة» حكمه بإعدامنا وسينفذ الحكم الآن.

- يا إلهي!!

تبكي بشدة..

- «مريم» أرجوكِ لا تبكي، كوني قوية.

- أي قوة ونحن نواجه الموت؟.

- هذا هو قدرنا وعلينا مواجهته ببسالة.

تشاهد «مريم» أسماك القرش...

- يا إلهي انظر يا «فارس» إنها أسماك قرش ضخمة.

ينظر إليها «فارس» في ذهول..

مريم (ببكاء):

- لا شك بأنهم سوف يرمون بنا إليها لتأكلنا، «فارس» افعل شيئًا أرجوك.

- حبيبتي، أنا الذي أرجوك أن تكوني أقوى منهم ومن الموت.

يظهر لها «الذوق»..

- «مريم» أرأيت أسماك القرش؟

- (تجيبه ببكاء وعجز): نعم.

- إنها شياطين البحر، إنها بانتظارك لتقطع أوصالك وتسفك دمك وتجعلك عبرة لمن لا يعتبر، فنحن لا نعدم البشر بل نلقيهم إلى الحيوانات المتوحشة، أتعرفين لماذا؟

- لماذا؟.

- لأننا نعتبر إعدام الإنسان تكريمًا له لأنه كائن أقل منا شأنًا وأدنى منا خلقة وعقلًا ومنزلة، لذلك فنحن إذا أردنا إعدام إنسان نلقيه للحيوانات المفترسة، وهذا ما سينفذ فيكما بعد قليل.

- أرجوك أيها «الذوق» لا تفعل ذلك.

- ستكونين وزوجك غذاءً لأسماك القرش بعد دقائق إلا إذا...

- إلّا إذا ماذا؟ أرجوك تكلم.

- إلا إذا نفذت ما سأقوله لك.

- بماذا تأمر أيها «الذوق»؟.

- انظري إلى هذين القدحين، هل تذكرينهما؟.

- طبعًا أذكر.

- عليكِ أن تشربي أحدهما و«فارس» يشرب الآخر، لتكونا بعد ذلك من أتباع الملك المعظم «أبي مرة» ولكي تفك قيودكما وتعودا إلى بلادكما في لمح البصر، كما وأن لكما عرضًا خاصًّا مني.

- ما هو؟

- لن نطالبكما بأي خدمة لخمس سنوات.. خمس سنوات ستقضيانها في فسحة ومهلة، بعدها يبدأ تنفيذ عهدكما معنا، وخلالها لن نتصل بكما ولن تشعرا بنا أبدًا.

- حقًّا؟

- وليس هذا فقط، ستكونان في خدمتنا حتى تبلغا الستين من العمر، بعدها إن أردتما أو أراد أحدكما التحرر من الخدمة فله ذلك. لن تجدي أفضل من هذا العرض إطلاقًا.

- وماذا أفعل الآن؟.

- عليك أن تقنعي «فارس» بأن يشرب أحد القدحين، ولايجب عليك أن تخبريه بما اتفقنا عليه، فقط دعيه يشرب منه وهذا يكفي تمامًا لأن يصبح عبدًا من عبيد الملك المعظم، ما هو ردك؟.

- سأحاول.

- إن لم يقبل، اشربي أنت.

- أنا!

- تستطيعين إنقاذ نفسك إن شربت أحد القدحين، اشربيه وستعودين إلى بلادك.

ينظر إليها «فارس» وهي تتحدث مع أحد..

- «مريم» ماذا دهاك؟.

تلتفت إليه..

- كأنك تتحدثين مع أحد.

- كلا، فقط كنت أتمتم.

- ما هذه ساعة تمتمة يا عزيزتي.

- «فارس».

- لبيك يا حبيبتي.

- أنا...

- أنت ماذا؟.

- أنا أحبك.

- وأنا كذلك.

- ألا توجد طريقة للهروب من هذا المصير؟

ينزل «فارس» رأسه إلى الأرض ثم يرفعه..

- «مريم» مع من كنت تتحدثين؟.

- مع..

- مع من؟

- مع «الذوق».

- «الذوق»!!

تنفجر «مريم» بالبكاء...

- مريم إن كنت تريدين الخلاص فنفذي ما يريده منك، أما أنا فلا.

- «فارس» لا تكن متعصبًا.

- أنا لست متعصبًا ولكني لن أقبل بغير الحرية ولن أعود إلى الاستعباد أبدًا مهما كان المصير.

- إنه الموت افتراسًا من قبل هذه الأسماك المتوحشة.

- أو حياة العبودية من قبل «أبي مرة» وجنوده، صدقيني أيتها الحبيبة إن حياة الذل موت! ولو كان الأمر يقتصر علينا لهان الأمر، وإنما تسري الخدمة على نسلينا، وربما نتسبّب باستعباد مئات أو ربما الآلاف من البشر.

- أنت تبالغ يا عزيزي.

- بل هذه هي الحقيقة، ولكن....

- (ببكاء) ماذا؟.

- تستطيعين إنقاذ نفسك، ولن أغضب منك، بل ستظلين حبيبتي، أما أنا فسوف أكون سعيدًا بأن يكون جسدي طعامًا لأسماك القرش على أن يكون خاضعًا لهؤلاء الشياطين الطغاة.

تبكي وتعرض عنه . .

يقبل «أبو مرة» بصحبة «الذوق» وهما محاطان بجنودهما من الشياطين . .

الذوق :

– ما هو ردك النهائي يا «فارس»؟

فارس :

– إما الحرية وإما الموت .

الذوق :

– وأنت يا «مريم»؟ .

تلوذ مريم بالصمت . . .

الذوق :

– ما هو ردك؟ .

يدنو «الذوق» منها . . .

– اقبلي بما قلته لكي ، هيا قولي بأنك موافقة .

تستمر في صمتها . . . .

– تكلمي أيتها الإنسية اللعينة .

تلزم صمتها . . يضربها بقسوة على وجهها . .

الملك أبو مرة :

– دعها أيها «الذوق» ، صمتها ليس سوى تعبير عن تأييدها لزوجها .

يوجه «أبو مرة» خطابه إلى «فارس». . .

- «فارس» أتعتقد بأنك عندما تعود إلى عالمك ستغدو حرًّا؟.

ينظر إليه «فارس» باهتمام. .

الملك أبو مرة:

- هناك الملايين من البشر إن لم يكن المليارات من الذي يعيشون في ظل دول تستعبدهم وتذلهم، أجيال متلاحقة ليس لها عدّ أو حدّ من البشر يعيشون في حياة تقيدهم وتغلهم بشتى القيود والأغلال فهم في حكم العبيد على الحقيقة.

لقد ظهر في تاريخ البشر مئات الطغاة ولا يزال هناك العشرات منهم يحكمون الملايين من أبناء آدم ويذيقونهم القهر والذل والهوان والعار.

من قال لك بأنك ستغدو حرًّا طليقًا في عالمك؟

عالمكم أنتم البشر مليء بالحروب وسفك الدماء وانتهاكات الحقوق والكرامات التي وهبها الرب لكم، هل تظن بأنني السبب في ذلك؟ أنت بذلك تظلمني، إنما هي طبائعكم أنتم البشر وما استودع فيكم من الشر.

الذوق:

- بالطبع سيدي الملك المبجل إن البشر ومنذ نشأتهم ينسبون لنا نحن معاشر الشياطين وعلى رأسهم ملك الملوك «أبو مرة» المعظم كل ما يمارسونه من شرٍّ وفساد في الأرض، ويحملوننا ما هو في

حقيقته المطلقة التي لا لبس فيها نتاج شرهم وفسادهم وسفكهم الدماء فيما بينهم، وها هي الكثير من بقاع عالم البشر يحكمها الطغاة وتعيث فيها الحروب ويعاني أهلها الذل والهوان ويكابدون حكم الطواغيت، فهل نحن من تسببنا بذلك؟ كلا إنهم البشر بكل ما استودعته نفوسهم من الشر والطغيان.

ثم يوجه كلامه إلى «فارس». .

- إن كنت تعتقد بأنك ستغدو حرًّا فأنت واهم وستتحول حياتك إلى مجرد حلم زائف، الحرية الحقيقية أن تكون مع القوي الذي يمنحك القوة والبأس، وهو هنا وهناك وفي كل العوالم وعلى مرِّ الزمان وإلى الأبد ملك الملوك «أبو مرة» المعظم.

يا نسل آدم وحواء إنها اللحظة الحاسمة، اختارا إما أن تكونا معنا وإما أن تكونا وليمة لشياطين البحر.

تصمت «مريم» بينما يجيبه «فارس» ببسالة موجهًا كلامه إلى «أبي مرة». .

- أيها الملك رغم أن ما قلته صحيح إلا أني لن أكون عبدًا لأحد، سواء كان جنًّا أم إنسًا، شيطانًا أم ملاكًا أم إنسانًا، سأظل أبحث عن الحرية والكرامة حتى آخر لحظات حياتي، هذا واجبي وعلي أن أؤديه سواء نجحت أم لم أنجح، وصلت إلى مرادي أو لم أصل، لست مكلفًا بالنجاح وإنما أنا مكلف بالسعي والعمل.

ينظر إليهما «أبو مرة» بغضب. . يغرب عنهما بوجهه. . . يدير لهما ظهره. . يشير إلى «الذوق» بإلقائهما في البحر. .

يستعد «الذوق» لتنفيذ الأمر.. يغمض «فارس» و«مريم» أعينهما... يتقدم أحد الشياطين للإمساك بـ «فارس» وإلقائه إلى أسماك القرش المتوحشة... «مريم» تغمض عينيها والدموع تنهمر منها.. تتمتم بدعاء تختم به حياتها وحياة زوجها، إلا أن سفينة تابعة للولايات المتحدة الأمريكية تباغت الجميع...

يتوقف الشيطان عن تنفيذ حكم الإعدام...

الذوق (بخوف وقلق):

- يا للهول! إنها سفينة تابعة للبشر.

الملك أبو مرة:

- لماذا لم يكشفها الرادار أيها «الذوق»؟

الذوق:

- جميع طاقم السفينة موجودون على السطح لمشاهدة تنفيذ حكم الإعدام.

الملك أبو مرة:

- الويل لك! كيف ترتكب مثل هذا الخطأ الفادح، ما كان عليك أن تأمر بإيقاف كل الطاقم عن العمل.

الذوق:

- لم أحسب أن سفينة بشرية من الممكن أن تباغتنا، خاصة وأننا لا نزال في نطاق الأشعة تحت الحمراء.

الملك أبو مرة:

- لا شك أننا ابتعدنا عن مياه مملكتنا، ومدى الأشعة تحت الحمراء أصبح ضعيفًا، كل هذا بسببك.

الذوق:

- مولاي...

الملك أبو مرة:

- لقد دونت في سجلك صفحات سوداء أيها «الذوق»، لقد زالت ثقتي فيك.

الذوق:

- مولاي سأظل إلى آخر عمري مواليًّا لك يا ملك الملوك، حتى لو أمرت بإحراقي لن أخلع بيعتي الأبدية لك.

الملك أبو مرة:

- أحفظ لك ذلك ولكن من الواضح أنه ما زال أمامك الكثير لتتعلمه أيها «الذوق».

الذوق:

- إن نجونا من الأعداء سوف أسخر نفسي للنهل منك يا غدير الحكمة وروح الكمال.

الملك أبو مرة:

- لا تخف، أنت مع أبي مرة، أنسيت ذلك؟.

الذوق:

ثكلتني أمي وتبخر جسدي في عواصف العدم إن كنت أشعر بذرة خوف وأنا مع ملك الملوك.

الملك أبو مرة:

- هذا حسن منك أيها «الذوق».

الذوق:

- لن نخشى شيئًا ما دام معنا وفينا قائدنا العظيم أبو مرة المبجل، أأمرنا بما تأمر أرواحنا لك الفداء.

الملك أبو مرة:

- فكوا قيود الإنسيين وكونوا طبيعيين تمامًا، ولا تتكلموا إلا بعد أن أوحي لكم بما تنطقون به.

الذوق:

- أمرك مولاي.

* * *

(السفينة الأمريكية)

القائد:

- ما هذه السفينة؟

مساعده:

- إنها تبدو كسفينة شحن تابعة لأسطول الولايات المتحدة.

القائد:

- وكيف لم يكتشفها الرادار؟.

مساعده:

- سيدي لقد ظهرت قبالنا فجأة.

القائد:

- هذا مستحيل.

مساعده:

- هذا ما حدث، إنهم الآن يحاولون الاتصال بها ولكن دون جدوى.

القائد:

- أمر غريب حقًّا.

مساعده:

- بماذا تأمرنا سيدي؟.

القائد:

- اتخذوا مواقع قتالية وشغلوا كاميرات التصوير وأمر عشرة من الجنود بأن يكونوا على أهبة الاستعداد للذهاب إلى السفينة المرصودة.

مساعده:

- أمرك سيدي، ولكن يبدو بأنهم غير مسلحين.

القائد:

- الاحتياط واجب حتى لو كانت سفينة تابعة لنا.

مساعده:

- إن أعدادًا كبيرة منهم على ظهر السفينة لماذا يا ترى؟

القائد:

- سنعرف الآن.

* * *

تنادي السفينة الحربية عبر مكبرات الصوت بأن قائد السفينة وعددًا من جنوده سوف ينزلون على ظهر سفينة «أبي مرة». . تقترب السفينة الحربية منها، ثم يتجه نحوها القائد وهو محاط بجنوده المدججين بالسلاح بحذر. .

الملك أبو مرة:

- أهلًا بالقائد «ستيفان».

القائد:

- أنت تعرفني؟.

الملك أبو مرة:

- كيف لا أعرفك وقد كنا زملاء في الكلية الحربية في «فلوريدا».

القائد:

- هذه سفينة تابعة للبحرية الأمريكية؟

الملك أبو مرة:

- بالطبع، ألا ترى العلم واسم السفينة ورقمها؟

القائد:

- أعتذر منك حسبناكم سفينة معادية ترفع العلم الأمريكي للتمويه.

الملك أبو مرة:

- إذا كانت السفينة مزورة فطاقمها لا يمكن تزويره فنحن أمريكيون أقحاح كما ترى.

القائد (وهو يضحك):

- بالتأكيد يا قبطان.... عفوًا لم أتعرف عليكم.

الملك أبو مرة:

- أنا القبطان «ريتشارد فيليبس».

القائد:

- أتشرف بمعرفتك.

الملك أبو مرة:

- وأنا كذلك.

القائد:

- أظنكم تنقلون النفط.

الملك أبو مرة:

- بالتأكيد، ونحن في طريقنا إلى القاعدة البحرية في «فلوريدا».

يأمر القائد جنوده بإنزال أسلحتهم...

الملك أبو مرة:

- كيف حالك أيها القائد وكيف حال الجنرال «ستون هوير»؟

القائد:

- أتعرفه؟

الملك أبو مرة:

- بالطبع إنه زميل قديم.

القائد:

- لقد تقاعد قبل سنتين وهو يقضي وقتًا ممتعًا مع عائلته.

الملك أبو مرة:

- أنا أيضًا سوف أتقاعد بعد سنة من الآن.

القائد:

- يا للمصادفة وأنا كذلك.

الملك أبو مرة:

- حقًّا! إذن سيكون ذلك فرصة لتعارفنا أكثر والعمل على بعض المشاريع المشتركة.

القائد:

- أتمنى ذلك، ولكن قل لي يا قبطان «فيليبس» هل أجهزتكم معطلة؟.

الملك أبو مرة:

- أعرف ما ستقول، حاولتم الاتصال بنا ولكنكم لم تتمكنوا، في الحقيقة تعطلت الكثير من أجهزة السفينة فجأة، وجارٍ إصلاحها.

القائد:

- هكذا إذن، الآن فهمت.

. . يلتفت القائد إلى «فارس» و«مريم».

– من هذين؟

– إنهما مدنيان وقد وجدناهما مبحرين في قارب صغير.

– يا للمفاجأة، هل أبلغتم القاعدة؟.

– بالتأكيد وقالوا بأنهم سوف يبعثون لنا بطائرة لنقلهما.

ينتهز «فارس» الفرصة. .

– سيدي نريد الذهاب معكم فورًا.

يقترب منه القائد. . .

– يبدو بأنكما متعبان وخائفان؟

مريم:

– نحن نريد الذهاب معكم على الفور.

– لِمَ لا تنتظرون طائرة الهيلكوبتر.

فارس:

– كلا نريدكم أنتم.

– حسنًا، بما أن الطائرة لم تأتي بعد سوف أقلكم معنا، ولكن تأكدا من أنكما لن تحظيا بفرصة اللجوء للولايات المتحدة بهذه السهولة، سوف ترحلان فورًا إلى السجن وهناك سيتم التحقيق معكما وستنالان العقوبة المناسبة، وبعدها سوف تعادان إلى بلادكما.

فارس:

- نعلم ذلك، خذنا معك فقط.

. . يتدخل أبو مرة:

- لا تشغل نفسك بهما، ستأتي الطائرة عما قريب.

فارس:

- كلا نريد أن نكون مع القائد «ستيفان».

القائد:

- حسنًا بما أنكما مصران.

الملك أبو مرة:

- أيها القائد لا داعي لذلك، لقد طلبت بالفعل طائرة وهي على وشك الوصول.

- حسنًا، سوف أتصل بالقاعدة وأطلب منهم عدم إرسالها أو عودتها في حال كونها انطلقت، ثم إنكم سفينة شحن ولا يحق لكم احتجاز أي شخص، ثم ماذا أقول للقيادة عندما يعرفون بأني ضبطت شخصين ولم أقبض عليهما؟

يسكت أبو مرة. . . القائد يأمر بنقل «فارس» و«مريم» إلى السفينة فيمتلكان الشجاعة لقول الحقيقة. .

فارس:

- سيدي إن هذا القبطان ومن معه ليسوا من البشر إنهم شياطين.

يتدخل أبو مرة. . .

- لقد عادا لهذيانهما.

القائد:

- ما الحكاية؟.

الملك أبو مرة:

- منذ أن قبضنا عليهما وهما يقولان بأني الشيطان وأن هؤلاء شياطين.

فارس:

- صدقني أيها القائد إنه إبليس الشيطان الرجيم ذاتًا وكيانًا، لحمًا وعظمًا، روحًا وجسدًا، إنه ملك ملوك الشيطان، إنه أصل الشر في هذا العالم.

القائد:

- يبدو بأنكما متعبان.

يأمر بنقلهما إلى سجن السفينة..

فارس:

- اقتله أيها القائد، اقض على روح الشر وحطم صنم الكبرياء.

مريم:

- أطلق عليه الرصاص واكتب تاريخًا جديدًا للكون وغير معالم الوجود وأزل الحجب التي تفصل بين العوالم.

يلتفت له أبو مرة:

- أيها القائد أتمنى ألا يكونا قد أزعجاك؟.

- كلا أبدًا، يبدو بأن بقاءهما فترة طويلة في البحر أثّر على قدراتهما العقلية.

الملك أبو مرة:

- يبدو ذلك.

يستعد القائد للمغادرة.. يمد يده لمصافحة «أبي مرة»..

القائد (في نفسه):

- يا لهذه اليد الحارة.

يودعان بعضهما... يعود الجنود إلى سفينتهم الحربية التي تهم بالمغادرة..

القائد:

- أتمنى أن أراك قريبًا يا «فيليبس» في «فلوريدا».

الملك أبو مرة:

- سنلتقي عما قريب بإذن الرب.

تغادر السفينة الحربية نحو القاعدة البحرية في «فلوريدا»...

يلتقط الشياطين أنفاسهم.. يلتفت إليهم «أبو مرة»:

- هيا عودوا بأقصى سرعة إلى البلاد.

الذوق:

- السرعة القصوى نحو مملكة ملك الملوك «أبي مرة» المعظم... الاتجاه قصر «الهراهر»، الموقع: الميناء الملكي.

* * *

(على ظهر السفينة الحربية)

القائد:

- اسمع، راقب تلك السفينة جيدًا ولا تغفل عنها أبدًا.

مساعده:

- أمرك سيدي.

إلّا أن المفاجأة المذهلة كانت بانتظارهم..

مساعد القائد:

- سيدي لقد اختفت السفينة عن الأنظار.

يقف القائد غاضبًا ومذهولًا...

القائد:

- كيف اختفت فجأة عن أنظاركم؟

مساعده:

- أمر غريب سيدي.

القائد:

والرادار؟

مساعده:

- رصد الرادار للسفينة ضعيف ومضطرب وسرعان ما اختفت على كافة أجهزة المراقبة.

القائد:

- مستحيل، كيف حدث هذا؟ اتصل بالقيادة واطلب منهم معلومات عن السفينة وقبطانها.

مساعده:

- أمرك سيدي.

يذهب القائد إلى «فارس» و«مريم». . .

القائد:

- لقد اختفت السفينة التي كنتما عليها.

ينظران إليه بلا مبالاة. .

فارس:

- قلت لك يا جنرال إنه الشيطان الأكبر إبليس.

القائد:

- مستحيل، ما تقولانه لا يقر به عقل أو علم أو منطق.

فارس:

- أكل شيء غير مرئي أصبح بنظركم خرافة أو خيالًا؟.

القائد:

- الشيطان فكرة من أفكارنا نحن البشر، مجرد شماعة نلقي عليها تبعات أفعالنا الشريرة.

مريم:

- بل هو حقيقة وإن لم نرها.

القائد:

- تريدون القول بأن ذلك القبطان الذي رأيته بعيني وسمعته بأذني وكلمته بلساني لم يكن سوى إبليس الشيطان الكبير الذي أخرج أبانا «آدم» من الجنة؟.

مريم:

- نعم إنه هو.

القائد:

- لا يمكنني تصديق هذا الهراء.

فارس:

- ولِمَ؟

القائد:

- تريداني بأن أصدق أن هناك كائنات عاقلة موازية للبشر عقلًا وذاتًا وروحًا تعيش معنا على هذه الأرض وتسابقنا في العلم والتطور؟

مريم:

- وما المانع من ذلك؟.

القائد:

- مستحيل!.

فارس:

- لِمَ اختفت السفينة إذن ولماذا لم ترصدها راداراتكم؟

القائد:

- لا بدّ أن هناك تفسيرًا لذلك.

فارس:

- أيها القائد إن الجراثيم والفيروسات لا نراها ولكنها موجودة.

القائد:

- أنتم تتحدثون عن كائنات تساوينا نحن البشر في العقل والقوة.

مريم:

- هذه الكائنات موجودة أيضًا وإن لم نرها.

القائد:

- كلا لا أصدق.

يدخل عليهم مساعد القائد. . .

مساعد القائد:

- سيدي لقد زودتنا القاعدة بالمعلومات المطلوبة.

القائد:

- حسنًا اعرضها فورًا.

مساعده:

- ولكن سيدي.

القائد:

- ولكن ماذا؟.

مساعده:

- نحن لسنا في المكان المناسب باعتقادي.

ينظر القائد إلى «فارس» و«مريم» بتمعن ثم يلتفت إليه قائلًا:

القائد:

- كلا قل ما عندك هنا، هيا تكلم.

مساعده:

- حسنًا سيدي، في الحقيقة لا يوجد شخص في الخدمة اسمه «ريتشارد فيليبس».

القائد - ماذا؟.

مساعده:

- نعم سيدي.

القائد:

- كيف؟

مساعده:

- هذا اسم لقبطان كان يعمل في البحرية منذ أربعين عامًا وتوفي منذ عشرين سنة تقريبًا.

القائد:

- ما أسمعه اليوم أغرب ما سمعت في حياتي.

- والسفينة «سايكلوب»؟

مساعده:

- إنها....

القائد:

- قل بلا تردد.

مساعده:

- لا توجد سفينة في الخدمة بهذا الاسم أو الرقم، ولكن قبل ٩٧ عامًا، كان هناك سفينة تحمل هذا الاسم، وكانت مخصصة لنقل الفحم، ولكنها غرقت في عام ١٩١٨ وعد طاقهما من الأموات وكان عددهم ٣٣٤.

القائد:

- يا للهول!!

مساعده:

- أما رقمها فليس له وجود بين سفننا مطلقًا.

يتفحص القائد بعض المعلومات المرسلة..

- رقمها(٨١٩١) لو عكسناه سيكون (١٩١٨)، يا للعجب إنه تاريخ غرق السفينة، أمر لا يصدق ولا يدخل في أي منطق أو علم.

يلتفت إلى «فارس» و«مريم»..

- أحقًا كان هؤلاء شياطين وكان القبطان «فيليبس» إبليس؟

مريم:

- نعم ولو قتلته لدخلت تاريخ الكون إلى الأبد.

- وهل يموت الشيطان؟

- إن كان لا يموت فإنه يقتل.

❊ ❊ ❊

(سفينة الملك «أبي مرة»)

الملك أبو مرة:

– ما بك أيها «الذوق»؟

الذوق:

– لا شيء سيدي.

الملك أبو مرة:

– أخبرني ماذا دهاك؟.

الذوق:

– فقط كنت أقول كدنا نقع في قبضة البشر.

الملك أبو مرة:

– لو أمسك بنا البشر لكنا أسراهم الآن بكل تأكيد.

الذوق:

– هل هذا يعني بأنهم الأقوى منا؟.

الملك أبو مرة:

– لو كانوا الأقوى لانتصروا علينا منذ زمن بعيد.

الذوق:

– لو أطلقوا النار علينا لقتلونا.

الملك أبو مرة:

– بكل تأكيد، فقد كنا خاضعين تمامًا للقوانين التي تحكم عالم البشر.

الذوق:

- سيدي أتوق لليوم الذي ننتصر فيه عليهم ونكون سادة هذه الأرض بل سادة الكون.

الملك أبو مرة:

- إنها معركة طويلة، أكثر من نصف مليون عام وأنا في حرب ضروس معهم، هم من تسببوا بإخراجي من عالم الملكوت وحكموا علي بالخلود في الجحيم، وأنا سأكون السبب في حرمانهم من دخول الجنة ومكوثهم في الجحيم معي إلى الأبد، وقبل ذلك سأخرجهم من الأرض وأجعلهم عبيدًا لي.

الذوق:

- سيدي ماذا عن «فارس» و«مريم»؟

الملك أبو مرة:

- دعهما فقد انتصرا علي.

الذوق:

- لم يخلق بعد من ينتصر على ملك الملوك، سأرسل لهم عتاة الشياطين ليحولوا حياتهما إلى كابوس لا نهاية له، ليكون مصيرهما إما الانتحار أو الجنون.

الملك أبو مرة:

- كلا لا تفعل.

الذوق:

- لماذا سيدي؟ .

الملك أبو مرة:

- لقد انتصرا علي، هذه هي الحقيقة، فقد انتصرت لهما القدرة الإلهية، إذ لولا القدر الإلهي لما اكتشفتنا تلك السفينة ونحن نهمّ بإلقاء «فارس» إلى أسماك القرش، أيها «الذوق» لا سلطة لأحد على القدر، جميعنا خاضعون له مهما كانت قوتنا، وأنا مهما بلغت من العظمة، ومهما بلغ كبريائي ومهما كنت قويًّا فأنا لست إلها وأظل خاضعًا لقوى أكبر مني.

ولكنه يظل نصر في معركة وليس في حرب، يظنان أنهما بفرارهما مني سيحظيان بحريتهما المزعومة، إلا أن هناك العديد من الطغاة الذين يحكمون البشر بيد البطش وراية القهر، ويتعين عليهما الفرار منهم أيضًا إن كانا حقًّا يناضلان من أجل الحرية.

الذوق:

- ولكن يا سيدي إن تركناهما وشأنهما قد يكشفان أسرار مملكتنا.

الملك أبو مرة:

- لن يصدقهما أحد، البشر مشغولون باكتشاف الفضاء والبحث عن كائنات خارج كوكب الأرض ولا يعترفون بوجودنا.

يدخل عليهما أحد الجنود:

- مولاي قصر «الهراهر» في الآفاق.

يصعد «أبو مرة» إلى سطح السفينة ليحيط به طاقمها وسرعان ما ينضم إليهم آلاف الجنود الذين أحاطوا بالسفينة من كل حدب وصوب...

ينظر إليهم «أبو مرة» بعين ثاقبة مخاطبًا:

- سيأتي يوم نظهر فيه للبشر بكل جلاء، من دون ذرة خوف، في ذلك اليوم الذي يرونه بعيدًا وأراه قريبًا سوف تكون المخلوقات النارية سيدة العالم وحاكمة الكون.

يضج الأفق بهتافات الشياطين لـ «أبي مرة» بالمجد والخلود وإعلان الولاء له بالسمع والطاعة..

* * *

تقترب السفينة الحربية الأمريكية من ميناء «فلوريدا».

مريم:

- فارس إننا ندخل الميناء.

فارس:

- أخيرًا عدنا إلى عالمنا.

مريم:

- ماذا سنفعل الآن؟.

فارس:

- لا شيء.

مريم:

- لا شيء!!

فارس:

- سنعيش كباقي البشر.

مريم:

- ولكن أليس من الجائز أن يهاجمنا «أبو مرة»؟

فارس:

- جائز.

مريم:

- أو ليس من الممكن أن يمسك بنا ويخطفنا أو حتى يقتلنا؟.

فارس:

- ممكن.

مريم:

- فماذا نحن فاعلون؟.

فارس:

- لا شيء!

مريم:

- لا شيء!!!

فارس:

- نعم لا شيء، ولكننا سنظل سائرين في طريق رسم لنا

ورسمناه نحن بإرادتنا، وإني لمتأكد بأنه سيأتي ذلك اليوم الذي تشرق فيه شمس الحرية على ربوع كل العوالم، وحينها فقط سنعود للجنة، مكاننا الأول وموطننا الحقيقي الذي سكناه أول مرة.

مريم:

- فارس سنظل معًا في كل عالم نسكنه ولن يفرقنا حتى الموت.

ينزلان من السفينة ليبدآ حياة جديدة في عالم البشر، بينما يأمر «أبو مرة» بتنفيذ حملة ضخمة لإصلاح مملكته ليتسنّى له تحقيق هدفه الأكبر بحكم العالم والسيطرة على الكون.

الفهرس